# الفصل الثانى

# أثر الإيمان فى حياة المسلم وسلوكه

**المبـــحث الأول** : الإيمان وشخصية المسلم.

**المبحـــث الثانـــى** : أثر الإيمان فى جانب العبادة، وذكر الله وتلاوة القرآن.

**المبحـث الثالـث**: أثر الإيمان فى تحقيق سعادة المسلم.

**المبحـث الرابـــع**: الإيمان وحب المسلم لربه والناس.

**المبحـث الخامس**: أثر الإيمان فى تحقيق الرضا لدى المسلم.

**المبحث السادس**: أثر الإيمان فى الصوم عن المعاصى..

**المبحـث السابـع**: الإيمان والشوق للكعبة المشرفة.

**المبحـث الثامـن** : الإيمان وحق الله فى المال.

**المبحـث التاسـع**: الإيمان والجانب الأخلاقى

أ- الصدق. ب- أداء الأمانة.

جـ- العفو. د- الصبر.

**المبحث العاشـر**: الإيمان وتفكر المسلم فى ملكوت الله.

**المبحث الحادى عشر**: الإيمان والأمن النفسى.

**المبحث الثانى عشر**: الإيمان والأمل لدى المسلم.

# المبحث الأول
# الإيمان وشخصية المسلم

**١- أثر الإيمان فى سلوك المسلم:**

الإيمان هو الركن الأساسى الذى بدأ الإسلام به فى تكوين شخصية المسلم؛ لأنه هو الجذر فى بناء شخصيته، وهو العنصر الأساسى المحرك لعواطفه والموجه لإرادته، ومتى صحت عناصر الإيمان فى الإنسان استقامت الأساسيات الكبرى لديه، وكان أطوع للاستقامة على طريق الحق والخير والرشاد، وأقدر على التحكم بأنواع سلوكه، وضبطها فيما يدفع عنه الضر والألم والمفسدة، العاجل من كل ذلك والآجل، وفيما يجلب له النفع واللذة والمصلحة العاجلة والآجلة من كل ذلك، وهذا ما يتطلبه منا الإسلام والدين الحنيف .

وقد أدرك حديثًا الباحثون من غير المسلمين قيمة العقائد فى توجيه سلوك الإنسان، فبدأوا يتحدثون عنها تحت عنوان " أيديولوجيات" ولكنهم ما استطاعوا أن يصلوا إلى المستوى الذى وصل إليه الإسلام، إذ هو يبنى فى الفرد المسلم إيمانًا لا يضارعه ولا يشابهه أى عنصر اعتقادى " أيديولوجى" يحاولون غرسه فى نفس الفرد من أفرادهم.

إن الفرق بين العقيدة الإسلامية الصحيحة والعقائد المنحرفة التى عبثت بها أيدى البشر – سواء بالوضع أو التحريف – يكمن فى تلك الثمار اليانعة التى تثمرها العقيدة الصحيحة، وتلك الآثار الطبية التى تحدثها فى النفس والسلوك والسمو فى الأخلاق والمعاملة؛ ولأن ظلمة الليل الحالك تنجلى بسطوع ضوء النهار؛ فإننا نرصد بعضا من آثار العقيدة الإسلامية الصحيحة فى شخصية المسلم، وفى تكوينه، وتفاعلاته فيما يلى:

١- العقيدة الصحيحة تحرر النفس من سيطرة الغير، وذلك أن الإيمان يقتضى الإقرار بأن الله هو المحيى المميت، الخافض الرافع، الضار النافع، كما فى قوله

تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٨]. فالذى عوق البشرية عن النهوض وحال بينها وبين الرقى هو الخضوع والاستبداد، سواء كان الاستبداد استبدادًا سياسيًا للحكام والرؤساء، أم استبدادًا كهنوتيًا لرجال الدين والكنهوت. وبتقرير الإسلام لهذه الحقيقة، قضى على هذا الأسر، وأطلق حرية الإنسان من سيطرة هؤلاء المستبدين التى لازمته قرونًا طوالاً[1].

٢- الإيمان يقتضى الاعتقاد بأن الله هو الرزاق، وأن الرزق لا يسوقه حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره، ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾ [هود: ٦].

وقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾ [ العنكبوت: ٦٢].

وإذا سيطرت هذه العقيدة على النفس تخلص الإنسان من رذيلة البخل والحرص والشره، والطمع، واتصف بفضيلة الجود والبذل والسخاء والأنفة، وكان إنسانا مأمول الخير والفضائل مأمون الشر والرذائل .

٣- ومن آثار الإيمان العظيمة الطمأنينة: أى طمأنينة القلب، وسكينة النفس، ومصداق ذلك فى قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ [ الرعد: ٢٨]. وقوله عز وجل: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡ ﴾ [ الفتح: ٤].

وإذا اطمأن القلب، وسكنت النفس، شعر الإنسان ببرد الراحة، وحلاوة اليقين، واحتمل الأهوال، وثبت إزاء الخطوب مهما اشتدت، ورأى أن يد الله ممدودة إليه، وإنه القادر على فتح الأبواب المغلقة، فلا يتسرب إليه الجزع، ولا يعرف اليأس إلى قلبه سبيلا.

(١) العقائد الإسلامية، سيد سابق، ٨٤ -٨٥ وما بعدهما .

٤- والإيمان بالله يرفع من قوى الإنسان المعنوية، ويربطه بمثل أعلى، وهو الله جل جلاله – مصدر الخير والبر والكمال. وبهذا يسمو الإنسان عن الماديات، ويرتفع عن الشهوات، ويستكبر على لذائذ الدنيا، ويرى أن الخير والسعادة فى النزاهة والشرف وتحقيق القيم الصالحة .. ومن ثم يتجه المرء اتجاها تلقائيا لخير نفسه، ولخير أمته، ولخير الناس جميعا. وهذا هو السر فى اقتران العمل الصالح بجميع شعبه وفروعه بالإيمان إذ إنه الأصل الذى تصدر عنه، وتتفرع منه، ويتمثل ذلك فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡ ﴾ [يونس: ٩]. وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥ ﴾ [التغابن: ١١]. وإذا اهتدى القلب، فلا يفوته خير لحرصه عليه ولصلاح الأصل المحرك لجوارح الإنسان.

٥- والحياة الطيبة يعجل الله بها للمؤمنين فى الدنيا قبل الآخرة. وتتمثل هذه الحياة فى ولاية الله للمؤمن، وهدايته له، ونصره على أعدائه، وحفظه مما يبيت له، وأخذه بيده كلما عثر أو زلت قدمه، فضلا عما يفيضه عليه من متاع مادى، يكون عونا له على قطع مرحلة الحياة فى يسر فقد قال الله تعالى: ﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [ النحل: ٩٧]. وقوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ خَيۡرٗاۗ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۚ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞۚ وَلَنِعۡمَ دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ [النحل: ٣٠]. وقوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [الأعراف: ٩٦]. وقال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗا ﴾ [النور: ٥٥]. وقال ﷻ: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴾ [غافر: ٥١]. وقوله تعالى: ﴿ فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ ءَامَنَتۡ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ ﴾ [ يونس: ٩٨].

**٢- آثار الإقرار بلا إله إلا الله:**

ذكر الداعية أبو الأعلى المودودى[١] - رحمه الله - تسعة آثار لكلمة التوحيد أذكر ملخصها فيما يلى:

١- إن المؤمن بهذه الكلمة لا يكون ضيق النظر، بخلاف من يقول بآلهة متعددة أو من يجحدها.

٢- إن الإيمان بهذه الكلمة ينشئ فى النفس من الأنفة والعزة ما لا يقوم دونه شىء؛ لأنه لا نافع إلا الله ولا ضار إلا الله، وهو المحى المميت، وهو صاحب الحكم والسلطة والسيادة، ومن ثم ينزع من القلب كل خوف إلا منه سبحانه، فلا يطأطئ الرأس أمام أحد من الخلق، ولا يتضرع إليه ولا يتكفف له، ولا يرتعب من كبريائه وعظمته؛ لأن الله هو العظيم القادر، وهذا بخلاف المشرك والكافر والملحد.

٣- ينشأ من الإيمان بهذه الكلمة أنفة النفس وعزتها: تواضع من غير ذل، وترفع من غير كبر فلا يكاد ينفخ أوداجه شيطان الغرور ويزهيه بقوته، لأنه يعلم ويستيقن أن الله الذى وهبه كل ما عنده قادر على سلبه إياه إذا شاء، أما الملحد فإنه يتكبر ويبطر إذا حصلت له نعمة عاجلة.

٤- المؤمن بهذه الكلمة: يعلم علم اليقين أنه لا سبيل إلى النجاة والفلاح إلا بتزكية النفس والعمل الصالح، أما المشركون والكفار فإنهم يقضون حياتهم على آمالٍ كاذبة، فمنهم من يقول: إن ابن الله قد أصبح كفارة عن ذنوبنا عند أبيه، ومنهم من يقول: نحن أبناء الله وأحباؤه فلن يعذبنا بذنوبنا، ومنهم من يقول: إنا سنشفع عند الله كبراءنا وأتقياءنا، ومنهم من يقدم النذور والقرابين إلى آلهته زاعمًا أنه قد نال بذلك رخصة فى العمل بما يشاء.

أما الملحد الذى لا يؤمن بالله فيعتقد أنه حر فى هذه الدنيا غير مقيد بشرع الله، وإنما إلهه هواه وشهوته هو عبدها.

---

(١) أبو الأعلى المودودى: مبادئ الإسلام، الناشر مؤسسة الرسالة، سنة ١٣٩٧ هـ، ص ٨٠ - ٨٧.

٥- قائل هذه الكلمة لا يتسرب إليه اليأس، ولا يقعد به القنوط؛ لأنه يؤمن أن الله له خزائن السماوات والأرض، ومن ثم فهو على طمأنينة وسكينة وأمل حتى ولو طرد وأهين وضاقت عليه سبل العيش .

إن عين الله لا تغفل عنه ولا تسلمه لنفسه، وهو يبذل جهده متوكلاً على الله بخلاف الكفار الذين يعتمدون على قواهم المحدودة، وسرعان ما يدب إليهم اليأس ويساورهم القنوط عند الشدائد مما يقضى بهم أحيانًا إلى الانتحار .

٦- الإيمان بهذه الكلمة يربى الفرد على قوة عظيمة من العزم والإقدام والصبر والثبات والتوكل حينما يضطلع بمعالى الأمور ابتغاء مرضاة الله، إنه يشعر أنه وراء قوة مالك السماوات والأرض فيكون ثباته ورسوخه وصلابته التى يستمدها من هذا التصور، كالجبال الراسية، وأنى للكفر والشرك بمثل هذه القوة والثبات ؟

٧- هذه الكلمة تشجع الإنسان وتملأ قلبه جرأة؛ لأن الذى يجبن الإنسان ويوهن عزمه شيئان: حبه للنفس والمال والأهل، أو اعتقاده أن هناك أحدًا غير الله يميت الإنسان، فإيمان المرء بلا إله إلا الله ينزع عن قلبه كلا هذين السببين، فيجعله موقنًا أن الله هو المالك الوحيد لنفسه وماله فعندئذ يضحى فى سبيل مرضاة ربه بكل غال ورخيص عنده، وينزع الثانى بأن يلقى فى روعه أن لا يقدر على سلب الحياة منه إنسان ولا حيوان ولا قنبلة ولا مدفع ولا سيف ولا حجر وإنما يقدر على ذلك الله وحده .

ومن أجل ذلك لا يكون فى الدنيا أشجع ولا أجرأ ممن يؤمن بالله، فلا يكاد يخيفه أو يثبت فى وجهه زحف الجيوش، ولا السيوف المسلولة، ولا مطر الرصاصات والقنابل بعكس المشركين والكفار والمنافقين الذين لا يقاتلون إلا فى قرى محصنة أو من وراء جدر .

٨- الإيمان بلا إله إلا الله يرفع الإنسان وينشئ فيه الترفع والقناعة والاستغناء ويطهر قلبه من أوساخ الطمع والشره والحسد والدناءة واللؤم، وغيرها من الصفات القبيحة.

٩- وأهم شيء وأجدره فى هذا الصدد، أن الإيمان بلا إله إلا الله، يجعل الإنسان متقيدًا بشرع الله ومحافظًا عليه، فإن المؤمن يعتقد بيقين أن الله خبير بكل شيء وهو أقرب إليه من حبل الوريد وأنه كان يستطيع أن يفلت من بطش أى كائن، فإنه لا يستطيع أن يفلت من الله عز وجل.

وعلى قدر ما يكون الإيمان راسخًا فى قلب الإنسان، يكون متبعًا لأحكام الله قائمًا عند حدوده، لا يجرؤ على اقتراف ما حرم الله، ويسارع إلى الخيرات والعمل بما أمر الله .

ومن أجل ذلك جعلت « لا إله إلا الله» أول وأهم ركن ليكون الإنسان مسلمًا، والمسلم هو العبد المطيع المنقاد لله تعالى، ولا يكون كذلك إلا إذا كان مؤمنًا من قلبه بأن لا إله إلا الله، وهذا هو أصل الإسلام، ومصدر قوته، وكل ما عداه من معتقدات الإسلام إنما هى مبنية عليه ولا تستمد قوتها إلا منه. والإسلام لا يبقى منه شيء لو زال هذا الأساس[١] .

### ٣- أثر الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين:

« لما كان أصل الموالاة الحب وأصل المعاداة البغض، وينشأ عنهما من أعمال القلوب والجوارح ما يدخل فى حقيقة الموالاة والمعاداة كالنصرة والأنس والمعاونة وكالجهاد والهجرة ونحو ذلك»[٢]، فإن الولاء والبراء من لوازم الإيمان بالله والعمل بمقتضاه، وأدلة ذلك كثيرة من الكتاب والسنة .

أما الكتاب فمنه قوله تعالى: ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [ آل عمران: ٢٨].

---

(١) انظر مبادئ الإسلام، ٨٧ .

(٢) عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، الرسائل المفيدة، ص ٢٩٦ – تصحيح عبد الرحمن الرويشد، طبع سنة ١٣٩٨ هـ ، بدار العلوم بمصر.

ويقول ﷻ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [آل عمران: ٣١-٣٢]

وقوله تباركت أسماؤه عن أهداف أعداء الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [المائدة: ٥١]. ويقول جل وعلا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴾ [ المائدة: ٥٤].

**أما احاديث واثار فكثيرة نذكر منها:**

١- ما رواه الإمام أحمد عن جرير بن عبد الله البجلى أن رسول الله ﷺ بايعه على أن ينصح لكل مسلم ويبرأ من أى كافر.

٢- وقال ﷺ: « أوثق عرى الإيمان الحب فى الله والبغض فى الله».

٣- وروى الطبرانى عن ابن عباس – رضى الله عنهما – أن رسول الله ﷺ قال: «أوثق عرى الإيمان الموالاة فى الله، والمعاداة فى الله، والحب فى الله، والبغض فى الله»[(١)].

٤- وأخرج ابن جرير ومحمد بن نصر المروزى عن ابن عباس – رضى الله عنهما – قال: «من أحب فى الله وأبغض فى الله ووالى فى الله وعادى فى الله، فإنما ينال ولاية الله بذلك، ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك، وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا وذلك لا يجدى على أهله شيئًا»[(٢)].

٥- وفى شرح قول ابن عباس رضى الله عنهما جاء ما يلى: ( قوله: «ووالى فى الله» فيه بيان لازم المحبة فى الله، وهو الموالاة فيه، إشارة على أنه لا يكفى فى ذلك مجرد الحب، بل لابد مع ذلك فى الموالاة التى هى لازم الحب، وهى النصرة والإكرام،

(١) المسند للإمام أحمد، جـ٤، الطبعة الثانية سنة ١٣٩٨ هـ، الناشر المكتب الإسلامى بدمشق، ص٣٥٧ .
(٢) انظر سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد، طبعة إدارة البحوث العلمية بالرياض ( د.ن)، ص ٤٢٢ .

والاحترام والكون مع المحبوبين ظاهرًا وباطنًا، وقوله: «وعادى فى الله» فيه بيان لازم البغض فى الله، وهو المعاداة فيه، أى إظهار العداوة بالفعل كالجهاد لأعداء الله والبراءة منهم، والبعد عنهم باطنًا وظاهرًا إشارة إلى أنه لا يكفى مجرد بغض القلب، بل لابد من الإتيان بلازمه، ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [ الممتحنة: ٤ ].

فالولاء لله تعالى هو محبة الله ونصرة دينه، ومحبة أوليائه ونصرتهم، والبراء بغض أعداء الله ومجاهدتهم، وذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ ﴾ [البقرة: ١٦٥]. ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١]. وحب الله تعالى لعبد من عبيده فيه علاقة الرحمة والعدل والود، وهذا أمر لا يقدر على إدراك قيمته إلا من عرف الله سبحانه وتعالى بصفاته كما وصف نفسه وكما وصفه بها رسول الله ﷺ، وإلا من وجد إيقاع هذه الصفات فى حسه ونفسه وشعوره.

وحب العبد لربه نعمة لهذا العبد لا يدركها كذلك إلا من ذاق حلاوتها، وإذا كان حب الله لعبد من عبيده أمرًا هائلاً عظيمًا وفضلاً غامرًا جزيلاً، فإن إنعام الله على العبد بهدايته لحبه، وتعريفه المذاق الجميل هو إنعام عظيم[1].

أما البغض فى الله فأمر ملازم للحب فى الله، لا ينفصل عنه؛ لأن المحب يحب ما يحب محبوبه، ويبغض ما يبغض محبوبه، ويوالى من يوالى محبوبه، ويعادى من يعاديه، ويرضى لرضاه، ويغضب لغضبه، ويأمر بما يأمر به، وينهى عما نهى عنه، فهو موافق له فى ذلك .

فالولاء لله بهذا المعنى يعنى الانقياد التام لأوامره ونواهيه، ومن أمثلة ذلك ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: « بينما أنا أدير الكأس على أبى طلحة وأبى عبيدة بن الجراح، وأبى دجانة، ومعاذ بن جبل، وسهيل بن بيضاء، حتى مالت رءوسهم من

(١) فى ظلال القرآن ، جـ ٢، ص ص ١٩٨- ٩١٩ .

خليط بسر وتمر، فسمعت مناديًا ينادى ألا إن الخمر قد حرمت، قال: فما دخل علينا داخل، ولا خرج منا خارج حتى أهرقنا الشراب، وكسرنا القلال، فإذا برسول الله ﷺ يقرأ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [ المائدة: ٩٠]. إلى قوله: ﴿ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾، فقال رجل: يا رسول الله فما ترى فيمن مات وهو يشربها، فأنزل الله تعالى: ﴿ لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ ﴾ [ المائدة: ٩٣]. فقال رجل لأنس بن مالك: أنت سمعته من رسول الله ﷺ ؟ قال: نعم أو حدثنى من لا يكذب. ما كنا نكذب ولا ندرى ما الكذب[١] .

ونجحت توجيهات القرآن، وتربية الرسول فانقادوا للأمر فى يسر وقناعة تامة وما تكونت عصابات التهريب، وما لجأت الدولة إلى أحكام الإعدام والسجن ومصادرة الأموال ولا إلى مجلات ومحاضرات وصور وسينما ... إلخ .

وكذلك فعلن النساء، فعن صفية بنت شيبة قالت: بينما نحن عند عائشة قالت: فذكرنا نساء قريش وفضلهن. فقالت عائشة: إن لنساء قريش لفضلا، وإنى والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار، أشد تصديقًا لكتاب الله ولا إيمانًا بالتنزيل لما نزلت سورة النور ﴿ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ انقلبت رجالهن إليهن يتلون عليهن ما أنزل الله إليهم منها، يتلو الرجل على امرأته وابنته وأخته وعلى كل ذى قرابته، فما فيهن امرأة إلا قامت إلى مرطها فاعتجرت به تصديقًا وإيمانًا بما أنزل الله، فأصبحن وراء رسول الله – كأن على رءوسهن الغربان[٢] .

أما الولاء لرسول الله ﷺ ، فيكون فى متابعته فعلاً قولاً وتقريرًا والانصياع لأمره كائنًا ما كان أمره أو نهيه، والنزول لحكمه؛ لأن طاعته ﷺ من طاعة الله سبحانه وتعالى وولائه : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾ [ النساء: ٦٥].

---

(١) تفسير القرآن الكريم، جـ٢، ص ص ٩٢-٩٣ .

(٢) المصدر السابق، جـ٣، ص ٢٨٤ .

وقد التزم الرعيل الأول من سلف هذه الأمة، بكل أمر أتاهم الرسول ﷺ به فكانوا يمثلون النموذج الصادق الحى للالتزام، فمن ذلك أن اليهود لعنهم الله، حاولوا الوقيعة بين أصحاب رسول الله ﷺ، فقد جمع الأوس والخزرج مجلس واحد يتحدثون فغاظ أحد اليهود ما رآه من ألفتهم وجماعتهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام بعد ذلك الذى كان بينهم من العداوة والجاهلية، فأمر هذا اليهودى شابًا يهوديًا، فقال له: اعمد إليهم، فاجلس معهم ثم اذكر يوم بعاث وما كان قبله، وأنشدهم بعض ما تقاولوا فيه من الأشعار، وكان يوم بعاث اقتتلت فيه الأوس والخزرج، فتكلم القوم عند ذلك وتنازعوا، وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين على الركب، وغضب الفريقان جميعًا، وقالوا: موعدكم الظاهرة[1]: السلاح .. السلاح. وخرجوا إليها، فبلغ رسول الله ﷺ، فخرج إليهم فيمن معه من أصحابه المهاجرين حتى جاءهم فقال: يا معشر المسلمين: الله، الله أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للإسلام، وأكرمكم به، وقطع به عندكم أمر الجاهلية، واستنقذكم به من الكفر، وألف بين قلوبكم فبكوا، وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضًا[2]، فأنزل الله تعالى فيهم قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ۝١٠٠ وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥۗ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝١٠١ ﴾ [ آل عمران: ١٠٠-١٠١].

فهذه الواقعة تدلنا أن محبة الرسول ﷺ تقتضى بالتبعية اتباع سنته ﷺ واتباع شريعته باطنًا وظاهرًا والامتثال بكل أمر ونهى يصدر منه ﷺ .

أما الولاء للمؤمنين، فيكون على مقتضى الآية التالية: ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [ المائدة: ٥٤]. أى إنهم يعاملون المؤمنين بالذلة واللين وخفض الجناح، ويعاملون الكافرين بالعزة والشدة عليهم، والغلظة عليهم، فهم يحبون من أحبه الله

(١) الظاهرة: الحرة – حرة المدينة .

(٢) السيرة النبوية الجزء الثانى، ص ١٩٢ .

فيعاملونه بالمحبة والرأفة واللين، ويبغضون أعداء الله الذين يعادونه فيعاملونهم بالشدة والغلظة كما فى قوله تعالى: ﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح: ٢٩].

ومن هنا فإن مقتضيات الولاء والبراء: حق المسلم على المسلم، وحقوق المسلم على المسلم كثيرة جدًا: النصرة والمودة والزيارة والإكرام والسلام وحماية العرض والمواساة، وغير ذلك مما هو منصوص فى الكتاب والسنة ومن هذه الحقوق:

(أ) المودة: وهذه للمؤمنين من بعضهم البعض فليس للكافر، ولا الفاسق ولا لمبتدع فيها نصيب . ومن هذه المودة حب المسلم أخيه المسلم ما يحب لنفسه كما قال ﷺ :« لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[(١)].

( ب) النصرة : وهذا واجب أخوى إيمانى على كل مسلم لأخيه المسلم من أى جنس كان وفى أى أرض حل، وبأى لون كان، ينصره بنفسه، وبماله، عن عرضه، ولذلك ورد التهديد لمن يترك ذلك وهو قادر عليه، قال ﷺ : « ما من امرئ يخذل امرءًا مسلمًا فى موضع حرمته وينتقص فيه من عرضه إلا خذله الله فى موطن يحب فيه نصرته، وما من امرئ ينصر مسلمًا فى موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله فى موطن يحب نصرته»[(٢)].

وقد امتدح الله سبحانه وتعالى الأنصار رضوان الله عليهم فى نصرتهم لإخوانهم المهاجرين فقال سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ [ الأنفال: ٧٤].

ومن الأوامر النبوية فى شأن النصرة فى قوله ﷺ : « انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا»[(٣)]، ونصرته إذا كان مظلومًا ظاهرة، أما نصرته إذا كان ظالمًا فبردعه عن الظلم ومنعه، وقال ﷺ : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، من كان فى حاجة

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه، جـ ١، ص ٥٧ كتاب الإيمان .
(٢) سنن أبى داود ج ٥/ ١٩٧، والمسند ج٤/ ٣٠ .
(٣) رواه البخارى فى صحيحه، جـ٥ / ٩٨ ، كتاب الظالم .

أخيه كان الله فى حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة»[1] .

والمسلم داخل المجتمع ما هو إلا عضو عامل من أعضاء الجسد، فإذا حصل لهذا العضو مرض أو اختل عمله تأثر لذلك بقية الجسد، ويصور ذلك المصطفى ﷺ فى قوله الكريم: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا»[2]، وقوله ﷺ : «المؤمن مرآة أخيه، والمؤمن أخو المؤمن يكف عليه ضيعته ويحوذه من ورائه»[3] .

ولقد كان التحام المسلمين ونصرة كل منهم لأخيه امتثالاً فريدًا فى تاريخ التلاحم والتواصل والتناصر سواء على مستوى الأمة أم الأفراد؛ حيث حققوا الموالاة والمعاداة على أوضح وأدق صورها .

ولن ينتصر المسلمون ولن تكون لهم شوكة إلا إذا تحقق فيهم – بعد صفاء العقيدة ووضوحها – حب المسلم لأخيه كحبه لنفسه، وشعوره بآلام أخيه كشعوره بما يصيبه هو، وحب نصرته كما يحب أن ينصره هو: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [ الحج: ٤٠].

وتحقق النصرة بعدة أمور منها: الدفاع بالنفس عن الأخ، وكسر شوكة الظالمين وبذل المال له لإعزازه وتقوية جانبه، عن عرضه وسمعته، والرد على أهل الباطل والظالمين الذين يريدون خدش كرامة المسلمين، والدعاء للمسلم بظهر الغيب بالنصر والتوفيق وتسديد الخطى وتتبع أخبار المسلمين فى أنحاء المعمورة، والوقوف على أحوالهم ودعمهم بقدر الاستطاعة .

كل هذه الأمور تحقق ولاءه لإخوانه المسلمين وتجعله عضوًا عاملاً صالحًا فى جسم الكيان الإسلامى .

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه، جـ ٥/ ٩٨ ، كتاب الظالم.
(٢) رواه البخارى فى صحيحه، جـ ١٠ / ٤٥٠، كتاب الأدب .
(٣) رواه البخارى فى الأدب المفرد، ص ٧٠ .

## المبحث الثانى

# أثر الإيمان فى جانب العبادة وذكر الله وتلاوة القرآن الكريم

**١- الإيمان والصلاة:**

حين يؤمن المسلم بربه فلا بد من صله بينهما؛ تربط المخلوق بخالقه وتملأ قلبه بالطمأنينة، واليقين، فيحس بأنه ليس وحده فى هذه الدنيا، بل إن معه واهب القوة والقدرة، وقيوم السماوات والأرض ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ [ الرعد: ٢٨].

والمسلم يعبد ربه ويتقرب إليه بمنهج دقيق، ولا تطغى فيه الدنيا على الآخرة، ولا يغيب فيه عن الدنيا، وذلك من إعجاز الإسلام، وصدق نظرته للحياة.

والصلاة هى الوسيلة المثلى التى فرضها الإسلام، ليتصل المخلوق بخالقه خمس مرات فى كل يوم وليلة، فيشعر برقابته عليه، ويجدد معه العهد ويستمد منه العون، ويؤكد له الإنابة والخضوع: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِى وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴾ [ البقرة: ١٨٦].

وقد بين القرآن أن الصلاة صفة من صفات المؤمنين، وسمة لابد منها فى شخصية المسلم .

فالمؤمنون هم: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [البقرة: ٣]. وهم: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِى ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [ الحج: ٤١].

وقد أمر الله المؤمنين جميعًا بإقامة الصلاة والحرص عليها: ﴿ قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [ إبراهيم: ٣١].

بل إن القرآن قد حث الرسول ﷺ على إقامة الصلاة والصبر عليها، وإلزام أهله بها . ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾ [ هود: ١١٤].

﴿ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَا ﴾ [ طه: ١٣٢].

فهل يجد المسلم مناصًا من إقامة الصلاة أو عذرًا فى إضاعتها؟!

والمسلم يعلم أن الصلاة ليست مجرد أقوال وأفعال تؤدى بلا وعى ولا تدبر، بل إن لها هدفًا لابد أن يدركه المصلى حتى يستفيد من الصلاة، ويصل إلى الغاية منها، وحتى تنتقل إلى عالم الشعور وتصبح منهجًا من مناهج التربية.

فالقرآن يبين أن الصلاة التى تؤدى على وجهها الصحيح، من سلامة الأركان، ومن خشوع القلب، ومن التدبر فيما يناجى به المصلى ربه، لابد أن يصل بصاحبها إلى كرم الخلق، وطهارة النفس، فينتهى عن المعصية ويبتعد عن الفساد، وينشأ فى نفسه وازع يربطه بالحق، ويبتعد به عن الباطل .

يقول الله سبحانه: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

إن الصلاة فى حقيقتها وسيلة من وسائل التربية الإسلامية التى تغرس فى قلب المسلم حقيقة الإيمان، وتؤسس فيه الشعور الصادق برقابة الله عليه، وتعوده على طاعة أمره، وامتثال حكمه، والمبادرة إلى فرائضه .

والمسلم يكتسب منها ثبات العقيدة وطمأنينة القلب، والقوة فى مواجهة أحداث الحياة .

فالإنسان بطبعه يجزع حين يمسه البأس، فينهزم ويغشاه اليأس، وتغمره الكآبة، كما أنه بطبعه يتبطر ويفخر إذا مسه الخير، وأحاطت به النعماء فيطغى، وينسى حق الضعفاء.

ولكن المسلم الذي يقيم الصلاة على حقيقتها، ويتدبر معانيها، ويكتسب من صلاته سلامة القلب، وثبات المشاعر، فلا يتقلب إحساسه مع تقلب الأيام بين الخير والشر.

بل يقابل الشدائد بوجه باسم وقلب مطمئن، يعلم أن الله – سبحانه وتعالى – هو الذى يغير ويبدل، وأن قدرته على الحياة بعلمه وحكمه، كما يعرف حق الله والعباد عليه حتى يأتيه الخير وتغمره النعم .

﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [ المعارج: ١٩- ٢٣].

إنها وسيلة مهمة يستعين بها المسلم فى مواجهة المصاعب، وعلى الصبر والثبات فى كفاحه فى دنياه، فيستمد من ربه العون، ويستلهم الثقة والطمأنينة.

﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ ﴾ [ البقرة: ٤٥].

وهى كذلك تطهر المسلم من الخطايا والهفوات التى لا يتحرز منها بشر، فيظل دائمًا طاهر القلب برىء المشاعر حى الضمير .

وفى ذلك يقول رسول الله ﷺ : «أرأيتم لو أن نهرًا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شىء؟ قالوا: لا يبقى من درنه شىء، قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بها الخطايا»[1] .

فالصلاة سمة من سمات المسلم، ومدرسة دائمة لا يزال يتعلم منها حقائق الإيمان ويصل بها إلى أعلى درجات اليقين، فهى ميزان إسلامه وطريق نجاته .

كما يقول رسول الله ﷺ : «ومن يحافظ عليهن – أى الصلوات الخمس – عاش بخير، ومات بخير – وكان من ذنوبه كيوم ولدته أمه»[2] .

والحق، أن الصلاة لا تكلف المسلم إلا لحظات قليلة من وقته، فى فترات متباعدة فى اليوم والليلة، فإن لم يحرص عليها المسلم مع سهولة تكاليفها، ويسر القيام بها، فلن يحرص على ما سواها من واجبات الإسلام وفرائضه؛ ولذلك قال رسول الله ﷺ لمعاذ حين بعثه إلى اليمن: «يا معاذ إن أهم أمرك عندى الصلاة». وكان عمر بن الخطاب

(١) رواه الخمسة إلا أبا داوود .
(٢) رواه أبو داوود .

رضوان الله عليه يقول لحكام الأمصار :"إن أهم أموركم عندى الصلاة، فمن حافظ عليها وحفظها حفظ دينه، ومن ضيعها كان لما سواها من عمله أشد إضاعة".

فالحفاظ على أداء الصلاة ورعايتها مقياس لصدق الإيمان يثمر ثمرته، ويعمل عمله، فى تثبيت العقيدة، وتوجيه السلوك .

والعجيب أن بعض الناس – فى عصرنا – يهونون من شأن الصلاة والعبادة عامة، ويزعمون أن لا نفع لها فى الحياة، ولا أثر لها فى تقويم السلوك، ناظرين فى ذلك إلى الذين يراءون فى العبادة فلا يرفعون بها رأسًا، ولا يصلحون عملاً، وليست هذه حجة يقنع بها العقل، أو يستقيم بها المنطق، فإن القرآن قد نهى المصلين عن الغفلة عن معانى الصلاة وحذرهم من الجهل بحقائقها، ونسيان دروسها حتى لا يصيبهم عقاب الغافلين: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧ ﴾ [ الماعون: ٤-٧].

فليس الانحراف عن الحق حجة فى تركه، ولا شذوذ البعض داعيًا لأن يعم الشذوذ . وليست أعمال الجاهلين حجة على هذا الدين .

أما المسلم الحق، فإنه يعرف طريق الرشاد ويتخذ إلى ربه سبيلاً، ويجعل من الصلاة معراجًا يرتقى به إلى آفاق الكمال، ويتطهر به من الأرجاس، والأدناس وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول : «ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها، وركوعها، إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم يأت كبيرة، وذلك الدهر كله» (١) .

**٢- الإيمان وذكر الله عز وجل:**

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ۝٤٢ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝٤٣ ﴾
[ الأحزاب: ٤١-٤٣]

---

(١) رواه مسلم .

إن إيمان المسلم، وصدق يقينه، يجعله يذكر ربه فى كل وقت، ويراه فى كل شىء .. فى مشاهد الطبيعة، وفى أحداث الحياة، فيأنس به، ويثق فى قدراته، ويأوى إلى ظلال فضله ورحمته. ومثله الأعلى فى ذلك النبى الكريم الذى: « كان يذكر الله على كل أحيانه»[1] .

وليست حقيقة الذكر باللسان، بل لابد أن ينشأ أولاً فى الشعور والوجدان ثم يفيض على اللسان، مناجاة وحمدًا، وتسبيحًا وتنزيهًا، فحينئذ يكون المسلم من الذاكرين حقًا الذين أعد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيمًا.

والمسلم الذى يذكر ربه؛ يذكره ربه، كما يقول الله عز وجل فى حديث قدسى: « أنا عند ظن عبدى بى، وأنا معه حين يذكرنى، فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه»[2] .

فما أعظم هذا الذى يذكر ربه، ويرعاه .

والمسلم الذى يذكر ربه يناجيه بقلبه، ويملأ فؤاده بحبه، ويستضىء بنوره، ولهذا فإن الذكر حياة للقلب ونور، والغفلة عنه موت وظلام؛ لأن الذى يغفل عن ربه ينسى حقيقة الوجود، ويجهل سر الحياة.

وفى ذلك يقول رسول الله ﷺ : « مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكر ربه مثل الحى والميت»[3] ، وهو تصوير صادق لما ينشئه ذكر الله سبحانه فى نفس المسلم من قوة وحياة، وما يمده من زاد، وما يفتحه أمامه من آفاق الإيمان والعمل.

ولهذا لا ينبغى للمسلم أن ينسى ربه أو يغفل عنه، وإلا فماذا يذكر إن نسى ربه؟، وبماذا يشتغل إن غفل عنه ؟

إنه يعلم أن لا شىء يشغل الإنسان عن ربه إلا الباطل، واللهو، والضلال، والانحراف. ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ [الكهف: ٢٨].

---

(١) رواه مسلم .
(٢) رواه الشيخان .
(٣) رواه البخارى .

وذكر الله سبحانه وتعالى سمة المسلم فردًا أو جماعة، فإذا اجتمع قوم فغفلوا عن ذكر ربهم، وشغلوا بالباطل واللغو، فإنهم يكتسبون إثمًا، ويستوجبون عقابًا، كما يقول صلوات الله عليه وسلامه: «ما جلس قوم مجلسًا لم يذكروا الله فيه، ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم ترة – أى حسرة ونقص – فإن شاء عذبهم، وإن شاء غفر لهم»[1] . وهذا دليل على تأكد الذكر، وضرورته لصدق الإيمان، وتهذيب السلوك .

والدعاء ذكر، بل إن الدعاء هو العبادة، كما قال رسول الله ﷺ : «الدعاء هو العبادة»[2]، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [ غافر: ٦٠][3] .

فما أعظم أن يقف العبد يسأل ربه ويلجأ إليه ويتطلع إلى خزائن نعمته، إنه يعرف أن الله وحده هو الذى يملك الاستجابة، ويملك العطاء .

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [ البقرة: ١٨٦].

إن الدعاء يوقف الإنسان أمام ربه، ويشعره بقربه منه، وإحاطته بشأنه، ولهذا فهو أفضل العبادة والذكر .

يقول الرسول ﷺ : «ليس شىء أكرم على الله تعالى من الدعاء»[4] .

إن مقاليد الأمور بيد الله وحده، فلماذا لا يهرع إليه العباد طالبين راغبين، وهو – سبحانه وتعالى – لا يرد أحدًا، ولا يخيب سائلا ؟

يقول رسول الله صلوات الله عليه : «سلوا الله من فضله، فإن الله ﷻ يحب أن يسأل، وأفضل العبادة انتظار الفرج»[5] .

والاستغفار فى حقيقته ذكر، فالمستغفر قد عرف أن له ربًا يقبل التوبة، ويعفو عن السيئات، فجاء يطلب الصفح، ويقدم الإنابة، ويعاهده على أن لا يعود .

---

(١) رواه الترمذى .
(٢) رواه الترمذى وأبو داوود .
(٣) داخرين : أذلاء منقادين .
(٤) رواه الترمذى وأحمد والحاكم .
(٥) رواه الترمذى .

ولهذا فإن ربه يتوب عليه، ويغفر له، ويتجاوز عن أخطائه، كما يقول سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٥ -١٣٦].

وقد كان رسول الله صلوات الله عليه يعلم المسلمين كيف يستغفرون ربهم، وكيف يقفون ببابه خاشعين: «فكان يستغفر الله، ويتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة»[(١)]، وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ! .

إن الله سبحانه وتعالى يدعو عباده أن يسألوه العفو، ويطلبوا منه المغفرة، وتلك غاية الرحمة، والفضل، والإحسان. يقول عز وجل فى حديث قدسى: «يا عبادى إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعًا، فاستغفرونى أغفر لكم»[(٢)].

على ذلك تقوم صلة المسلم بربه؛ يذكره بالقول والعمل، وبالشعور والوجدان، ويدعوه فى كل وقت، ويفزع إليه إن أحاطت به المكاره، وأحدقت به المشكلات، ويستغفره إن زل وأخطأ، فيحظى بالمغفرة، وينال الرضوان، فما أقدسها من صلة، وما أكرمها من علاقة عبد ومولاه .

### ٣- الإيمان وتلاوة القرآن :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ ﴾ [ غافر: ٢٩- ٣٠]

إن المسلم يعلم أن كتاب الله ﷻ هو روح الهداية فى هذه الدنيا، وهو نقطة التحول فى تاريخ البشرية، فلابد أن يكون وثيق الصلة به، يعيش معه ولا يسأم من ترديد النظر فيه، فهو حبل الله المتين، وصراطه المستقيم .

---

(١) رواه البخارى .
(٢) رواه مسلم .

والقرآن كتاب الله الكريم، الذى أنزله على محمد صلوات الله وسلامه عليه رحمة للعالمين، وهداية للناس أجمعين.

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ [ إبراهيم: ١].

وقد جمع الله فيه من أصول الخير، ومناهج الهدى، ما يصلح الحياة، ويرسى فى الأرض دعائم الطمأنينة والسلام:

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [ الإسراء: ٩ ].

والمسلم يعلم أن للقرآن مهمة يؤديها للفرد والمجتمع، فهو يرشد إلى نظام كامل، ومنهج للحياة فريد، وهو علاج حقيقى لأمراض الإنسان، ومشكلاته، واستجابة صادقة لنوازعه وحاجاته الأصيلة، فلا يعلم الإنسان، ولا يرسم طريقه المستقيم إلا من خلقه وهداه: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء: ٨٢].

وهو دستور الإسلام وأساسه الأول، الذى يجمع أحكامه ويبين عقائده ويحدد شريعته، ويوجه إلى آدابه وفضائله. فما أعظمه من كتاب ! وما أعظم أثره فى حياة الفرد والمجتمع على السواء ؟

ولهذا كانت تلاوة القرآن وتدبر معانيه، عبادة مفروضة على كل مسلم بقدر محدد فى كل صلاة، حتى لا ينقطع المسلم عن مورد الهداية، ولا يعزب عن مصدر الإيمان. وباب التطوع بعد ذلك مفتوح بلا حد لمن شاء أن يستزيد .

وقد رغَّبت آيات القرآن الكريم، وأحاديث الرسول ﷺ فى تلاوة القرآن والاهتداء بهداه. يقول رسول الله ﷺ : «من قرآ القرآن واستظهره؛ فأحل حلاله وحرم حرامه، أدخله الله الجنة، وشفعه فى عشرة من أهل بيته كلهم وجبت له النار»[1] .

(١) رواه الترمذى .

وهو يعلم أن إيمانه لا ينضج، ونفسه لا تزهر وروحه لا تضيء إلا إذا كان صاحب القرآن يتلوه ويتفهمه فحينئذ تفوح منه رائحة الإيمان، وتتضح آداب القرآن فى قوله وعمله، وتبدو ثمرات القرآن فى نهجه وسلوكه.

إنه حينئذ طيب الظاهر والباطن، كما يقول رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن مثل التمرة، لا ريح لها وطعمها حلو»(١).

وليست تلاوة القرآن مجرد عبادة لا ثمرة لها فى الحياة، بل إن توجيه القرآن للمسلم فى شئون الحياة وتصويره لحقائق الصلة بين العباد. كل ذلك فى سعيه، فلا يعيش على هامش الدنيا، ولا يسير معصوب العينين ضالاً عن الهدى، بل يحيا مؤثرًا فى الحياة، مصلحًا فى المجتمع، لا يعرف الذلة، ولا يألف الهوان .. !! .

ومن هنا كان تعلم القرآن فى ذاته ربحا يفضل كل ربح مادى، وكسبا لا يعادله كسب، فهو علم يهدى إلى العمل، ويوجه إلى أقوم طريق .

وقد بين الرسول ﷺ أن تعلم القرآن يعود على المسلم بثمرات تفضل كل عرض من أعراض الدنيا، فقال لأصحابه: «فلأن يغدو أحدكم كل يوم إلى المسجد فيتعلم آيتين من كتاب الله ﷻ خير له من ناقتين، وثلاث خير له من ثلاث، وأربع خير له من أربع، ومن أعدادهن من الإبل»(٢) .

ومن هنا فلا ينبغى للمسلم أن يتهاون فى صلته بالقرآن فينساه أو يهجره، فالقرآن هو الدستور الذى يجمع حقائق الإسلام فإذا انقطعت صلة المسلم به، فإن نبع الإيمان يجف فى نفسه، فتذوى نضارته، ويذهب بهاؤه. ولهذا قال الرسول ﷺ: «إن الذى ليس فى جوفه شىء من القرآن كالبيت الخرب»(٣).

ونسيان القرآن إثم عظيم، لا ينبغى أن يقع مسلم فيه، وفى ذلك يقول الرسول صلوات الله عليه: «عرضت على ذنوب أمتى فلم أر ذنبا أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيها رجل ثم نسيها»(٤) .

---

(١) رواه الخمسة .
(٢) رواه مسلم .
(٣) رواه الترمذى .
(٤) رواه الترمذى وأبو داوود .

فما أعظم شأن القرآن ! وما أجدره بالعناية والحفاظ!. فكيف يتلو المسلم كتاب ربه حق تلاوته؟.

إنه يعلم أن غاية التلاوة هى اتصال القلب بنور القرآن ووقوف العقل أمام ما تحويه آياته من حق وهدى، فهى عبادة تحتاج إلى قلب سليم، وعقل مستقيم. وليست العبرة بكثرة التلاوة، بل إن العبرة بالتأمل والتدبر واستجلاء منابع الهداية، من آيات القرآن الكريم .

ومن هنا فإن المسلم يتلو القرآن الكريم، خاشع القلب، حاضر اللب، عارفا بقدره، مستحضرًا لجلاله: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَـٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [ الحشر: ٢١].

وهو لا يجعل القرآن ألحانا ونغمات لا معنى لها، ولا حقيقة من ورائها، بل ينزهه عن اللغو واللهو .

إن ذلك اللهو إثم عظيم، ينافى جلال القرآن، ويحجب نوره؛ لأن القلب إذا لم يكن مصغيًا إلى هداية القرآن فلا جدوى من تلاوته، كما يقول الرسول ﷺ : «اقرءوا القرآن ما ائتلفت عليكم قلوبكم، فإذا اختلفتم فقوموا عنه»[1] .

إنه كتاب الله، ودستور الحياة، لا يتخذه المسلم مهجورًا ولا يلهو بتلاوته ولا يغفل عن حقائقه، كيف وقد كانت تحنو له القلوب، وتعن له الجباه[2] ، إلى حد أن كان يبكى عند سماعه رسول الله ﷺ ! .

عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : قال لى رسول الله ﷺ :«اقرأ علىّ» قلت: أقرأ عليك، وعليك أنزل يا رسول الله؟ قال: « إنى أشتهى أن أسمعه من غيرى»، قال: فقرأت سورة النساء حتى إذا بلغت ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ [ النساء: ٤١]. قال: «كف أو أمسك، فرأيت عينيه تذرفان» .

---

(١) رواه الشيخان .

(٢) تعن له الجباه : تخضع له .

## المبحث الثالث

## أثر الإيمان فى تحقيق سعادة المسلم

السعادة هى جنة الأحلام التى ينشدها كل البشر، من الفليسوف فى قمة تفكيره وتجريده، إلى العامى فى قاع سذاجته وبساطته، من الملك فى قصره المشيد، إلى الصعلوك فى كوخه الصغير، ولا نحسب أحدًا يبحث عن الشقاء لنفسه، أو يرضى بتعاستها .

وكثرة المال ليست هى السعادة، ولا العنصر الأول فى تحقيقها، بل ربما كانت كثرة المال أحيانا وبالا على صاحبها فى الدنيا قبل الآخرة؛ لذا قال الله فى شأن قوم من المنافقين: ﴿ فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ [ التوبة: ٥٥]، والعذاب هنا هو المشقة، والنصب والألم والهم والسقم، فهو عذاب دنيوى حاضر، على نحو ما ورد فى الحديث «السفر قطعة من العذاب» وهذا ما نشاهده بأعيننا فى كل من جعل المال والدنيا أكبر همه، ومبلغ علمه، ومنتهى أمله، فهو دائما معذب النفس، متعب القلب، مثقل الروح، لا يغنيه قليل، ولا يشبعه كثير.

وفى الحديث الذى رواه أنس عن النبى ﷺ تصوير لهذه النفسية المعذبة فقال: «من كانت الآخرة همه جعل الله غناه فى قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهى راغمة، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه، وفرق شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له»[(١)] .

ومن أبلغ العذاب فى الدنيا – كما قال ابن القيم[(٢)] – تشتيت الشمل وتفريق القلب، وكون الفقر نصب عينيه لا يفارقه ولو سكر عشاق الدنيا بحبها، لاستغاثوا من هذا العذاب؛ على أن أكثرهم لا يزال يشكو ويصرخ منه، ومن أنواع العذاب،

(١) رواه الترمذى من حديث أنس، وروى ابن ماجة وغيره قريبا منه من حديث زيد بن ثابت .
(٢) ابن القيم " إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان"، مكتبة السنة المحمدية، ص ٢٦ .

عذاب القلب والبدن بتحمل أنكاد الدنيا ومحاربة أهلها إياه، ومناساة معاداتهم، كما قال بعض السلف : "من أحب الدنيا فليوطن نفسه على تحمل المصائب" ومحب الدنيا لا ينفك عن ثلاث: هم لازم، وتعب دائم، وحسرة لا تنقضى، وذلك أن محبها لا ينال منها شيئا إلا طمحت نفسه إلى ما فوقه كما فى الحديث: «لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثا». وقد مثل عيسى ابن مريم عليه السلام محب الدنيا بشارب الخمر، كلما ازداد شربا ازداد عطشا .

**ولا تتحقق السعادة فى الأولاد :**

حقيقة إن الأولاد زهرة الحياة، وزينة الدنيا، ولكن كم من أولاد جروا على آبائهم الويل، وجزوهم بالعقوق والكفران بدل البر والإحسان، بل كم من آباء ذاقوا حتفهم على يد أولادهم طعمًا فى ثرواتهم، أو لوقوفهم فى سبيل شهواتهم.

لقد وجدنا من الآباء من يقول لولده آسفا :

غذوتك مولودًا وعلتك يافعًا ... تعل بما أسدى إليه وتنهل
إذ ليلة نابتك بالشجو لم أبت ... لشكواك إلا ساهرًا أتململ
فلما بلغت السن والغاية التى ... إليها مدى ما كنت فيك أؤمل
جعلت جزائى غلظة وفظاظة ... كأنك أنت المنعم المتفضل

وكم رأينا فى الحياة صورًا غريبة، وسمعنا أحاديث أغرب عن عقوق الأبناء وتعاسة الآباء، وهذا ما جعل الآباء ما برحوا على مر العصور، ينشدون شعرهم حنقا من جحود أبنائهم .

**السعادة الحقة فى داخل الإنسان :**

السعادة إذًا ليست فى وفرة المال، ولا سطوة الجاه ولا كثرة الولد، ولا نيل المنفعة ولا العلم المادى.

السعادة شىء معنوى لا يرى بالعين ولا يقاس بالكم، ولا تحتويه الخزائن، ولا يشترى بالدينار، أو الجنيه أو الروبل أو الدولار. السعادة شىء يشعر به الإنسان

بين جوانحه .. صفاء نفس وطمأنينة قلب، وانشراح صدر، وراحة ضمير. السعادة شيء ينبع من داخل الإنسان ولا يستورد من خارجه .

حدثوا أن زوجًا غاضبًا قال لزوجته متوعدًا: لأشقينك. فقالت الزوجة فى هدوء: لا تستطيع أن تشقينى، كما لا تملك أن تسعدنى .

فقال الزوج فى حنق : وكيف لا أستطيع؟

فقالت الزوجة فى ثقة: لو كانت السعادة فى راتب لقطعته عنى، أو زينة من الحلى والحلل لحرمتنى منها، ولكنها فى شيء لا تملكه أنت ولا الناس أجمعون !

فقال الزوج فى دهشة : وما هو ؟

فقالت الزوجة فى يقين: إنى أجد سعادتى فى إيمانى، وإيمانى فى قلبى، وقلبى لا سلطان لأحد عليه غير ربى !.

هذه هى السعادة الحقة، السعادة لا يملك بشر أن يعطيها، ولا يملك أن ينتزعها ممن أوتيها، السعادة التى شعر بنشوتها أحد المؤمنين الصالحين فقال: إننا نعيش فى سعادة لو علم بها الملوك لجالدونا عليها بالسيوف .

وقال آخر وهو ثمل بتلك اللذة الروحية التى تغمر جوانبه: إنه لتمر على ساعات أقول فيها: لو كان أهل الجنة فى مثل ما أنا فيه الآن لكانوا إذًا فى عيش طيب ! والذين رزقوا هذه النعمة يسخرون من الأحداث وإن برقت ورعدت، ويبتسمون للحياة وإن هى كشرت عن نابها، ويفلسفون الألم، فإذا هو يستحيل عندهم إلى نعمة تستحق الشكر، على حين هو عند غيرهم مصيبة تستوجب الصراخ والشكوى، كأنما عندهم غدد روحية خاصة، مهمتها أن تفرز مادة معينة تتحول بها كوارث الحياة إلى نعم .

وهناك القدر المادى اللازم لتحقيق السعادة ولا نجحد أن للجانب المادى مكانًا فى تحقيق السعادة، كيف وقد قال رسول الإسلام: «من سعادة ابن آدم: المرأة الصالحة، والمسكن الصالح، والمركب الصالح»[1] .

---

(١) رواه أحمد بإسناد صحيح من حديث سعد بن أبى وقاص .

بيد أنه ليس المكان الأول ولا الأفسح، والمدار فيه على الكيف لا على الكم، فحسب الإنسان أن يسلم من المنغصات المادية التى يضيق بها الصدر، مثل : المرأة السوء، والمسكن السوء، وأن يمنح الأمن والعافية، وييسر له القوت فى غير حرج، ولا إعنات. وما أصدق وأروع الحديث النبوى «من أصبح آمنا فى سربه، معافى فى بدنه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها»[1] .

وإذا كانت السعادة شجرة منبتها النفس البشرية، والقلب الإنسانى، فإن الإيمان بالله وبالدار الآخرة هو ماؤها وغذاؤها، وهواؤها وضياؤها .

لقد فجر الإيمان فى قلب الإنسان ينابيع للسعادة، لا يمكن أن تغيض، ولا أن تتحقق السعادة بغيرها، تلك هى ينابيع السكينة، والأمن، والأمل، والرضى، والحب، وسيأتى تفصيل ذلك فى المباحث الأخيرة من هذا الفصل بحوله تعالى .

(١) رواه البخارى فى الأدب المفرد والترمذى وقال: حسن غريب، وابن ماجه .

## المبحث الرابع
## الإيمان وحب المسلم لربه والناس

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [ الأنفال: ٢].

صلة المسلم بربه تقوم على الحب والرجاء والخشية. فالمسلم تفيض نفسه بعاطفة الحب نحو خالقه؛ لأنه واهب الحياة، ومفيض النعم، وصاحب الفضل والإحسان، الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى .

وإذا كان فى طبيعة الإنسان مقابلة الإحسان بمثله، فكيف لا تمتلئ قلوب المؤمنين بحب الله الذى لا تحصى نعمه، ولا تنفد عطاياه؟ ... فإن الحياة بما فيها نعمة من الله .

﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴾ [النحل: ٥٣].

ومن هنا تنشأ بين المسلم وربه صلة من الحب لا تنقطع .. ومن هذه الصلة تنمو فى نفس المسلم مشاعر كريمة تسمو به إلى آفاق الكمال، وتذيقه ألوانا من الأمن والاطمئنان، والثقة واليقين، وتدفعه إلى إدامة الطاعة وإحسان العبادة . حتى يذوق حلاوة الإيمان التى يشير إليها الرسول ﷺ بقوله: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود إلى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار»[1] .

وحب المسلم لربه يملك عليه كل جوارحه ويسيطر على فؤاده فلا يترك فى قلبه فراغا لسواه، ولا يحب شيئا قدر حبه لله، وذلك دليل إيمانه، وبرهان يقينه، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [ البقرة: ١٦٥].

---

(١) رواه البخارى .

ولهذا الحب آثاره الملموسة، ودلائله الواضحة، فى عمل المسلم وجهاده. فهو ينشط للبذل، ويخف للتضحية، حينما يكون ذلك فى سبيل الله، وابتغاء رضاه، فلا يبخل، ولا يجبن إيثارًا لمال، أو إشفاقا على ولد، أو رغبة فى الحياة. بل يقدم نفسه وما يملك، ويبذل جهده وما يستطيع فى سبيل نصرة العقيدة، وحماية الحق، والدفاع عن الحرمات .. وذلك دليل صادق على حبه وإيثاره لرضاه . فإن أخلد إلى نوازع الجبن والبخل، أو استجاب لمشاعر الضعف والتردد، أو آثر روابط الدنيا على دعوة الله، فقد خمدت فيه حماسة الإيمان، وهمدت شعلة اليقين، وهو حينئذ منحرف عن سبيل ربه، متعرض لسخطه وعقابه .

كما يقول سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [ التوبة: ٢٤].

وكما يحب المسلم ربه بإحسانه وفضله، ورعايته وهداه .. فإن ربه يحبه لإيمانه وإخلاصه واستقامته وتقواه .

﴿ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [ المائدة: ٥٤].

فما أجل ذلك وأقدسه ! وما أعظمه فى النفس التى تسعى إلى الكمال !؟

ولقد بيَّن الله لعباده أنه يحب المتقين الصالحين، ذوى الإيمان الراسخ والفضائل العالية، والخلق الكريم .

فهو يحب أهل العدل، الذين يقومون بالقسط .. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [المائدة: ٤٢].

وأهل الوفاء والتقوى .. ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ٧٦].

كما يحب أهل العفو والإحسان .. ﴿ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [ آل عمران: ١٣٤].

ويحب المجاهدين الصامدين الصابرين الذين يثبتون فى ساحة الكفاح.. ﴿ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

ويحب المتطهرين المترفعين عن الدنايا : ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾ [ التوبة: ١٠٨].

ومن هنا فإن المسلم الصادق يتابع سيره إلى الكمال ليحظى بحب الله، ويفوز برضاه . وعلى أساس هذا الحب المتين يقوم توكل المسلم على ربه حق التوكل .

إن الله – سبحانه وتعالى – هو صاحب القدرة القاهرة، والعلم الواسع، والغنى المطلق .. وهو القادر على النفع والضرر والإعطاء والمنع. فكيف لا يتوكل عليه المسلم، وهو مولاه الذى يهديه ويرعاه .. ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ﴾ [إبراهيم: ١٢]. إن التوكل على الله نتيجة طبيعية للإيمان والحب؛ فهو صفة من صفات المؤمنين، ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التغابن: ١٣].

وحين يتوكل المؤمن على ربه فإنه يستند إلى السبب الأقوى والركن المتين، ويستند إلى ذى الحكمة والرحمة والقوة والتدبير وهو سبحانه وتعالى لن يضيع من استند إليه .. ولن يخذل من توكل عليه، ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ [الطلاق: ٣].

التوكل على الله هو الذى يمنح القلب الطمأنينة، والثبات فى مواجهة الأحداث، كما يبنى العزيمة، ويقوى الإرادة، ويفتح منافذ الأمل وأبواب الرجاء، وهو قوة إيجابية تدفع إلى الكفاح، وتسد أبواب القلق، وتعصم من الجزع، وتقضى على الحيرة والتردد، فهو خلق من أخلاق البطولة يحتاج إليه المسلم، وهو يخوض معارك الحياة .

وحين جبن بنو إسرائيل عن دخول الأرض المقدسة مع نبيهم ناداهم رجلان مؤمنان من أهل اليقين والتوكل: أن امضوا إلى الجهاد واثقين متوكلين فذلك سر النصر، وباب الفتح .

﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [ المائدة: ٢٣].

ولهذا فإن المسلم حين يتوكل على ربه، لا يهمل الأخذ بالأسباب بل يؤدى واجبه ويحتاج لأمره .

وقد وفد أحد الأعراب إلى رسول الله ﷺ وترك ناقته خارج المسجد فقال له رسول الله ﷺ : «اعقلها وتوكل ».

فلا تنافى بين العمل والحرص على ما ينفع، وبين سكون القلب إلى الحق ورجائه ما عند الله .

ومع الحب والتوكل، فإن المسلم يخشى ربه ويخاف عقابه، كما يرجو رحمته وثوابه. وخشية المسلم لربه هى خوفه من الوقوع فيما يسخطه، وعزمه الصادق أن لا يجاوز حدوده ولا يتنهك حرماته، فهى شعور، وعمل، ونية، وسلوك .

وهى بهذا أصل من أصول التربية الإسلامية التى تنشئ الوازع الخلقى فى نفس المسلم، وتعصمه من الانحراف والطغيان، فالمسلم يخشى ربه فى كل مكان، وفى كل وقت وحال. كما قال رسول الله ﷺ :« اتق الله حيثما كنت ..»[1] .

وقد وعد الله من يخشاه بعظيم الأجر، وكريم المنزلة؛ لأن الخشية دليل صدق الإيمان، وثبات اليقين، واستحضار القلب لعظمة الرب سبحانه .. ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ [ الملك: ١٢].

---

(١) رواه الترمذى .

والله سبحانه وتعالى هو المستحق للخشية، وإذا كان الناس يخافون القوى المسيطرة فى الأرض، ويرهبون ذوى البأس والسلطان، فإن المسلم لا يخشى إلا الله؛ لأن قوته فوق كل قوة، وإرادته فوق كل إرادة .. وكل ما فى الأرض فهو تحت قدرته، وفى قبضته .. ﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٠].

ومن هنا يعيش المسلم عزيزًا لا يذل، قويًا لا يضعف، يهاب ربه ويخشاه، ولا يذل لأحد سواه. فيصبح قوة فى الوجود لها دورها بين نواميس الكون، وسنن الحياة.

بهذه العاطفة الصادقة النابعة من الفطرة القريبة من الوجدان، يمتلئ القلب المسلم .. بالحب، والخشية، والرجاء. فهى تحدد صلة المسلم بربه وتوجه زمامها. فلا يبقى فى القلب شىء غيره، ولا يتجه المسلم إلا إلى طريقه، ولا ينحرف إلى غاية سواه.

## المبحث الخامس

# أثر الإيمان فى تحقيق الرضا لدى المسلم

قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل بقسطه جعل الفرح والروح فى الرضى واليقين، وجعل الغم والحزن فى السخط والشك»[1].

هذا الحديث الشريف كشف عن حقيقة نفسية باهرة، فكما أن سنة الله قد ربطت الشبع والرى بالطعام والشراب فى عالم المادة، فإن سنته تعالى فى عالم النفس والروح قد ربطت الفرح والروح – وبعبارة أخرى السرور وراحة النفس – بالرضى واليقين، فيرضى الإنسان عن نفسه وربه فيطمئن إلى يومه وحاضره، وبيقينه بالله والآخرة والجزاء يطمئن إلى غده ومستقبله. ومَنْ غير المؤمن فى رضاه عن يومه، ويقينه بغده؟ كما ربطت سنة الله تعالى الغم والحزن بالسخط والشك.

فالساخطون والشاكون لا يذوقون للسرور طعمًا، إن حياتهم كلها سواد ممتد، وظلام متصل، وليل حالك لا يعقبه نهار ولا يرتقب له فجر صادق. وقد ربط الحديث النبوى الكريم بين السخط والشك وهما متلازمان، فلا سخط من غير شك، ولا شك من غير سخط. قال ابن القيم: قل أن يسلم الساخط من شك يداخل قلبه ويتغلغل فيه، وإن كان لا يشعر به، فلو فتش نفسه غاية التفتيش، لوجد يقينه معلومًا مدخولاً؛ فإن الرضى واليقين أخوان مصطحبان، والشك والسخط قرينان.

الساخط إنسان دائم الحزن، دائم الكآبة، ضيق الصدر، ضيق الحياة، ضيق بالناس، ضيق بنفسه، ضيق بكل شىء، كأن الدنيا – على سعتها – فى عينيه سم الخياط.

إن المؤمن قد تصيبه الكآبة، وقد يعتريه الحزن، ولهذا قال الله لرسوله ﷺ: ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾ [ النحل: ١٢٧]. ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ﴾ [ يونس: ٦٥]. ولكن حزن المؤمن لغيره أكثر من حزنه لنفسه، وإذا حزن لنفسه فلآخرته قبل دنياه. وإذا

---

(١) رواه أبو داود وغيره.

حزن لدنياه فهو حزن عارض موقوت كغمام الصيف، سرعان ما ينقشع إذا هبت عليه ريح الإيمان. حتى النفوس المنقبضة والطبائع المتشائمة، ينشر الإيمان عليها من ضيائه وإشراقه، فيبدد كثيرًا من ظلامها ويخفف كثيرًا من انقباضها ويطارد أسباب السخط والتشاؤم من وجودها.

أما المرتاب فى الله والآخرة، فهو يعيش فى مأتم مستمر، ومناحة دائمة لأنه يعيش فى سخط دائم، وغضب مستمر، ساخط على الناس ، ساخط على نفسه، ساخط على الدهر، ساخط على كل شىء. وقديمًا قالوا: من غضب على الدهر طال غضبه؛ ولهذا هو فى مأتم مستمر، يبكى دائمًا وينعى نفسه، وينوح على دنياه، ويولول على وجوده، كما وصف بعض المرتابين نفسه فقال: إنه حزين بعاطفته وتفكيره وسلوكه.. حزين بأعصابه وأعصاب الكون والآلهة والناس والأشياء! ..، لا يعرف لماذا هو حزين ؟!

إن شعور الإنسان بالرضى من أول أسباب السكينة النفسية التى هى سر السعادة.

وفى الحديث الصحيح: «من سعادة المرء استخارته ربه، ورضاه بما قضى، ومن شقاء المرء تركه الاستخارة وعدم رضاه بعد القضاء»[1] .

فكل أمره مقدور يكتنفه أمران: الاستخارة قبل وقوعه، والرضى بعد وقوعه، والسعيد من جمع بينهما، وبذلك هو المؤمن، والشقى من حرمهما .

المؤمن يسأل الله قبل إقدامه على أمر من الأمور أن يهديه إلى أرشد الأعمال وأهدى السبل، ومن الأدعية التى علمها لنا الرسول ﷺ: «اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى، فيسره لى، وبارك لى فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى، فاصرفنى عنه»[2] .

المؤمن هو الذى يحس تلك الحالة النفسية التى تجعله مستريح الفؤاد منشرح الصدر، غير متبرم ولا ضجر، ولا ساخط على نفسه، وعلى الكون والحياة والأحياء،

(١) رواه البزار ومعناه عند أحمد والترمذى .
(٢) رواه البخارى وغيره .

ومنشأ ذلك رضاه عن وجوده الخاص فى نفسه، وعن الوجود العام من حوله، ومبعث هذا وذاك رضاه عن مصدر الوجود كله، وينبوع هذا الرضى هو الإيمان بالله رب العالمين.

والرضا مرتبة روحية جزيلة، هيهات أن يصل إليها جاحد بالله، أو شاك فيه، أو مرتاب فى جزاء الآخرة، إنما يصل إليها من قوى إيمانه بالله، وحسن اتصاله به، وقد خاطب الله رسوله ﷺ بقوله: ﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ﴾ [طه: ١٣٠]. وامتن عليه بقوله: ﴿ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴾ [الضحى: ٥]. وقال النبى ﷺ: «ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد رسولا»[1].

وأثنى الله تعالى على المؤمنين بقوله: ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ ﴾ [ البينة: ٨].

**- المؤمن راض عن نفسه وعن ربه:**

المؤمن راض عن نفسه، أعنى عن وجوده ومكانه فى الكون؛ لأنه يعلم أنه ليس ذرة ضائعة، ولا كما مهملا، ولا شيئا تافها، بل هو قبس من نور الله، ونفخة من روح الله، وخليفة فى أرض الله .

وهو راض عنه ربه؛ لأنه آمن بكماله وجماله، وأيقن بعدله ورحمته، واطمأن إلى علمه وحكمته، أحاط سبحانه بكل شئ علمًا، وأحصى كل شئ عددًا، ووسع كل شئ رحمةً، لم يخلق شيئا لهوًا، ولم يترك شيئا سدىً، له الملك وله الحمد، نعمه عليه لا تعد، وفضله عليه لا يحد، فما به من نعمة فمن الله، وما نابه من حسنة فمن الله، وما أصابه من سيئة فمن نفسه، يردد دائمًا هذا الذى ردده من قبل أبونا إبراهيم خليل الرحمن ﷺ: ﴿ فَإِنَّهُمۡ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٧٧ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ۝٨٠ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ ۝٨١ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ۝٨٢ ﴾ [ الشعراء: ٧٧- ٨٢].

---

(١) رواه أحمد ومسلم والترمذى .

والمؤمن – نتيجة لهذا – راض عن الحياة والكون من حوله؛ لأنه يعتقد أن هذا الكون الفسيح صنع الله الذى أتقن كل شىء: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ [ طه: ٥٠ ] . وكل ذرة فى الأرض أو السماء تدل على حكمة حكيم، وتقدير عزيز عليم، وتدبير ملك عظيم، ورعاية رب كريم رحيم.

المؤمن – كما قال الإمام الغزالى[1] – يصدق تصديقا يقينيا لا ضعف فيه ولا ريب، أن الله عز وجل لو خلق الخلق كلهم على عقل أعقلهم، وعلم أعلمهم، وخلق لهم من العلم ما تحتمله نفوسهم، وأفاض عليهم من الحكمة ما لا منهى لوصفها، ثم زاد مثل عدد جميعهم علما وحكمة وعقلا، ثم كشف لهم عن عواقب الأمور، وأطلعهم على أسرار الملكوت، وعرفهم دقائق اللطف، وخفايا العقوبات، حتى اطلعوا به على الخير والشر، والنفع والضر، ثم أمرهم أن يدبروا الملك والملكوت، بما أعطوا من العلوم والحكم، لما اقتضى تدبير جميعهم من التعاون والتظاهر عليه: أن يزاد فيما دبر الله سبحانه، ولا أن يدفع مرض أو عيب أو نقص أو فقر أو ضر، عمن بلى به، ولا أن يزال صحة أو كمال أو غنى أو نفع، عمن أنعم الله به عليه، بل كل ما خلقه الله تعالى من السماوات والأرض – إن رجعوا فيها البصر، وطولوا فيها النظر – ما رأوا فيها من تفاوت ولا فطور، وكل ما قسم الله تعالى بين عباده من رزق وأجل، وسرور وحزن، وعجز وقدرة، وإيمان وكفر، وطاعة ومعصية، فكله عدل محض لا جور فيه، وحق صرف لا ظلم فيه، بل هو على الترتيب الواجب الحق على ما ينبغى وكما ينبغى وبالقدر الذى ينبغى، وليس فى الإمكان أصلا أحسن منه، ولا أتم، ولا أكمل، ولو كان ادخره – مع القدرة – ولم يتفضل به لكان بخلا يناقض الجود، وظلما يناقض العدل، ولو لم يكن قادرًا لكان عجزًا يناقض الإلهية".

فما عرفه المؤمن من حكمة الله فى خلقه، وأسراره فى كونه، فبها ونعمت، وما خفى عليه وكله إلى عالمه، وقال فى تواضع أولى الألباب: ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ ﴾ [ آل عمران: ١٩١ ].

---

(١) الأحياء ربع المنجيات كتاب التوكل، ص ٢٢٢، ط الحلبى .

إن مما يسخط الناس على أنفسهم وعلى حياتهم، ويحرمهم لذة الرضا، أنهم عدموا الإحساس بما يتمتعون به من نعم غامرة، ربما فقدت قيمتها بإلفها، أو بسهولة الحصول عليها، وهم يقولون دائما: ينقصنا كذا وكذا، ونريد كذا وكذا، لا يقولون: عندنا كذا وكذا.

المؤمن يشعر بنعمة الله عليه فى كل شىء حوله، ويرى فى كل ذرة فى الأرض أو السماء منحة من الله، تيسر له معيشته، وتعينه على القيام برسالته فى الحياة .. إنه يرى نعمة الله فى هبة الريح، وسير السحاب، وتفجر الأنهار، وبزوغ الشمس، وطلوع الفجر، وضياء النهار، وظلام الليل، وتسخير الدواب، وإنبات النبات.

ولتقرأ فى مثل هذا قوله الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ [ لقمان: ٢٠]. ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [الجاثية: ١٢-١٣]. ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [يس: ٣٣-٣٦]. ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [يس: ٧١-٧٣]. ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْيِىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ ﴾ [الفرقان: ٤٧- ٤٩]. ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ

أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [القصص: ٧١-٧٣]. ﴿ وَٱلْأَنْعَـٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَـٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَـٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَـٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَـٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَـٰمَـٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [النحل: ٥-١٨].

ولقد كان سيدنا محمد رسول الله ﷺ أشد الناس إحساسًا بنعمة الله وفضله فى كل شئونه؛ ولذا إذا تناول طعامه – وإن كان من خشن الخبز وجاف الشعير – تناوله تناول الراضى الشاكر، ويقول فى ختام الطعام: «الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين» وإذا شرب الماء القراح قال: « الحمد لله الذى جعله عذبا فراتا برحمته، ولم يجعله ملحًا أجاجًا بذنوبنا» .

- وإذا اكتسى ثوبًا، أو عمامة، أو نحو ذلك قال: «الحمد لله الذى كسانى هذا ورزقينه من غير حول منى ولا قوة، اللهم إنى أسألك من خيره وخير ما هو له».

- وإذا ركب دابة قال ما علمه الله إياه: «سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون» .

- وإذا استيقظ من نومه قال: « الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور» .

- وإذا قضى ضرورته البشرية وخرج من الخلاء قال: « الحمد لله الذى أذهب عنى الأذى وعافانى» .

- وإذا رأى مبتلى فى جسمه أو حواسه قال: « الحمد لله الذى عافانا مما ابتلى به كثيرًا من خلقه».

- وإذا تم له أمر على ما كان يبغى ويريد قال: « الحمد الله الذى بنعمته تتم الصالحات».

- وإذا تم له أمر على غير ما كان يبغى ويريد قال: « الحمد لله على كل حال» .

- وإذا استقبل وجه الصباح قال: « اللهم إنى أصبحت منك فى نعمة وعافية وستر، فأتم علىَّ نعمتك وعافيتك وسترك فى الدنيا والآخرة، اللهم ما أصبح بى من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك، فلك الحمد، ولك الشكر».

- وإذا أظله المساء قال مثل ما فى الصباح .

فهذا هو شعور المؤمن دائمًا، شعور الذاكر لنعمة الله، الشاكر لفضل الله ﴿ **وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ** ﴾ [ **النحل**: ٥٣]. ﴿ **وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ** ﴾ [**النحل**: ١٨].

ولا عجب أن كانت أول آية فى كتاب الله الخالد – بعد البسملة – آية تشعر المؤمنين أبدًا بنعمة الله وإحسانه وتوجههم إلى حمده وشكره، تلك هى آية فاتحة

الكتاب ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ولا غرو أن جعل الإسلام تلاوتها فريضة يومية يكررها المسلم كل يوم ما لا يقل عن سبع عشرة مرة فى صلواته الخمس. المؤمن راض بما قدر الله عليه .

والمؤمن كما يغمره الشعور بنعمة الله عليه كل حين وفى كل حال، لا يفقد هذا الشعور وإن أصابته البأساء والضراء، وهزته زلازل الحياة.

وإنه راض بما قضى الله له، وما قدر عليه، إيمانًا بأن الله تعالى لا يفعل شيئًا عبثًا، ولا يقضى أمرًا يريد به عسرًا لعباده، وأنه – سبحانه – أرحم بهم من الوالدة بولدها، وأن الخير المطوى فى جوف ما نظنه كارثة وشرًا، وما نكرهه بطبيعتنا البشرية ﴿ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [ النساء: ١٩].

والمؤمن راض بما قسم الله له من رزق، وما قدر له من مواهب، وما وهب له من حظ؛ لأنه مؤمن بعدل الله فيما قسم من أرزاق، وبحكمته فيما وزع من مواهب، وبفضله ورحمته فيما لعباده من حظوظ، وهذا هو معنى " القناعة" الذى حث عليه الدين، وأشاد به الحكماء والصالحون.

والإسلام يهدى المرء إلى الاعتدال فى السعى للغنى، والإجمال فى طلب الرزق، وبذلك يضمن التوازن فى نفسه وفى حياته، ويمنحه السكينة التى هى سر السعادة، ويجنبه الإفراط والغلو الذى يرهق النفس والبدن معًا، ومن ثم قال ﷺ: «يا أيها الناس اتقوا الله وأجملوا فى الطلب، فإن نفسا لن تموت حتى تستوفى رزقها، وإن أبطأ عنها، فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب»(١) .

ولو ترك الإنسان يستسلم لنزعات حرصه وطمعه، لأصبح خطرًا على نفسه وجماعته، فكان لابد من توجيه طموحه إلى قيم أرفع، ومعان أخلد، ورزق أبقى، وتلك هى وظيفة الدين معه: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه: ١٣١]. ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ

(١) رواه ابن ماجة .

ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١٤-١٥].

وظيفة الإيمان هنا أن يحد من سورة الحرص والطمع، وطغيان الشراهة والجشع، على النفس البشرية فلا تستبد بها وتجعلها تحيا فى قلق دائم، ولا تكتفى بقليل، ولا تشبع من كثير، لا يطفئ غلة ظمئها ما عندها فتمتد عينها إلى ما عند غيرها، ولا يشبعها الحلال فيسيل لعابها إلى الحرام، مثل هذه النفس لا ترضى ولا تستريح، إنها كجهنم – أعاذنا الله منها – تلتهم الملايين فى جوفها ثم يقال لها: هل امتلأت؟ وتقول هل من مزيد ؟!

وظيفة الإيمان أن يوجه النفوس إلى القيم المعنوية الخالدة، وإلى الدار الآخرة الباقية، وإلى الله الحى الذى لا يموت، ويعلم المؤمن أن الغنى – إن كان ينشد الغنى – ليس فى وفرة المال وكثرة المتاع الأدنى، وإنما هو داخل النفس أولا، وبذلك ورد الحديث: «ليس الغنى عن كثرة العرض إنما الغنى غنى النفس»[1].

ومن معانى الرضى وثانى ما تعنيه القناعة أن يرضى الإنسان بما وهب الله مما لا يستطيع تغييره، وفى حدود ما قدر له يجب أن يكون نشاطه وطموحه، فلا يعيش متمنيًا ما لا يتيسر له، ومتطلعا إلى ما وهب لغيره ولم يوهب له، وذلك كتمنى الشيخ أن يكون له قوة الشباب، وتطلع المرأة الدميمة إلى الحسناء فى غيرة وحسد، ونظرة الشاب القصير إلى الرجل الطويل فى حسرة وتلهف، وطموح البدوى الذى يعيش فى أرض قفراء بطبيعتها إلى رفاهية الحياة وأسباب النعيم، وكما حدث فى عهد الرسول ﷺ حين منى النساء أن يكن لهن ما للرجال،

(١) متفق عليه .

فأنزل الله تعالى ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ﴾ [النساء: ٣٢].

وتكون القناعة فى حال العسر وضيق الرزق التى تحل بالأفراد، ولا تخلو منها حياة الناس، وفى الأزمات الطارئة التى تحل بالأمم نتيجة حرب أو مجاعة أو نحوها.

وفى البلاد والدول التى تقل مواردها الطبيعية فلا توفر الرفاهية لأهلها، ولا يهتدى كثير منهم سبيلا لتنمية رزقه أو للهجرة من بلده – تكون القناعة بما رزق الله هى الدواء الناجع، والبلسم الشافى، وتطلع مثل هؤلاء الذين ذكرنا ليس طموحًا، ولا علو همة، إنه طمع فى غير مطمع، وتمن لما لا يكون، وحرص لا ثمرة له إلا الهم والحزن .

هؤلاء فى حاجة أن يعلموا ويوقنوا أن السعادة ليست فى وفرة أعراض الحياة ولكنها فى داخل النفس، وأولى ما يقال لهم ما وجهنا إليه رسول الله ﷺ: «ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس»، «قد أفلح من هدى للإسلام وكان رزقه كفافا وقنع به»، «ما قل وكفى خير مما كثر وألهى».

## المبحث السادس

# أثر الإيمان فى الصوم عن المعاصى

يرتقى المسلم بإنسانيته إلى ذروة الكمال، ويعلم أن الله عز وجل قد ميزه عن الحيوان، وجعل فيه استعدادًا للسمو بروحه والتحرر من أسر الشهوات وعبودية الغرائز.

وهو حين يمتنع بمحض إرادته عن تناول الطعام والشراب وإجابة الشهوات يثبت أن الإيمان صانع العجائب، وأن الإرادة هى الخاصة التى ميز بها الله – سبحانه – الإنسان عن غيره وفضله بها على كثير ممن خلق .

والمسلم يعلم أن الصوم عبادة أصيلة، فرضها الله على أهل الأديان السماوية جميعا، اختلفت طرائقها، لكن كمال هذه الفريضة، ووضوح حقيقتها كان فى الإسلام.

﴿ ... يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [ البقرة: ١٨٣-١٨٤ ].

وما كان الله ليشرع لعباده ولا أن يفرض عليهم تلك الفريضة إلا لحكمة بالغة وغاية مثلى، وليس لمجرد المشقة والحرمان، وإنما شرع الله الصيام ليصل بالنفس إلى حقيقة التقوى فتسمو عن الدنايا، وترتفع عن ضرورات البشرية، وتتعلم كيف تسيطر على النوازع والغرائز، وكيف تستعصم من نداء الفتنة، وداعية الشهوة .

فليس الهدف من الصيام هو إذلال النفس، أو القسوة عليها، ولكن الغاية منه علاج النفس من أدوائها، فتكتسب إرادة حازمة وعزيمة صادقة، ولا تتهافت على الشهوات، ولا تتهالك على الرغبات واللذائذ، بل تملك الصبر على الحرمان، والقوة فى مراجهة الغرائز، وتترقى من ذلك إلى الابتعاد عن الرذائل واجتناب الدنايا، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿ ... لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [ البقرة: ١٨٣ ].

فالمسلم حين يمتنع طائعًا عن الضرورات التى يحتاج إليها بحكم الغريزة، فإنه لا ريب يمسك عن المحرمات، ويجتنب المنكرات، وينشأ فى نفسه الضمير الحى، والوازع الخلقى، الذى يوجهه إلى الخير ويعصمه من نزغات السوء.

والمسلم فى صيامه يثبت قوة نفسه، وعلو قدرها، واستعدادها للقيام بالواجبات، والاضطلاع بعظائم الأمور، كما يثبت قدرته على التغلب على الحاجات والأهواء، واستعصامه من الدنايا والسيئات. فحين ينجح المسلم فى تجربة الصيام فهو فى ميدان الجهاد أجبن وأضعف. وليس على الصائم رقيب إلا الله سبحانه .

ومن هنا تنمو لديه ملكه مراقبة الله، والشعور باطلاعه عليه، فتخفى من نفسه مظاهر الرياء، والتطلع إلى إعجاب الناس، والرغبة فى حب الثناء، وذلك بعض ما يتعلمه المسلم من عظات الصيام ومعانيه، وقد بين الإسلام حدود الصيام التى يجب على المسلم أن يلتزمها؛ فإن للصيام جانبًا ظاهرًا وهو: الامتناع عن المفطرات فى ساعات النهار .. وذلك أمر ميسور يقدر عليه الحيوان، ولكن المهم فى الصوم جانبه الروحى الذى جعله الإسلام الهدف الحقيقى لهذه الفريضة.

ومن هنا فإن المسلم الحق يتخذ من الصيام وسيلة لتطهير نفسه وتزكيتها. فإن من يغفل عن حقيقة الصيام، ولا يفطن إلى حكمته، لا يعود صيامه عليه بثمرة، ولا ينال منه إلا التعب .

وإلى هذا يشير رسول الله ﷺ بقوله: « من لم يدع قول الزور، والعمل به، فليس له حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه»[1] . ومن هنا فلابد للصائم أن يتميز فى قوله وعمله، ويتخذ لنفسه سلوكًا يتفق مع جلال العبادة وقدسية الإيمان. وإلى هذا يوجه الرسول ﷺ بقوله: « إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد، أو قاتله، فليقل: إنى صائم»[2] .

وبذلك يرتقى المسلم، إلى ذروة الإنسانية التى جعلها الله فى أحسن تقويم ويقى نفسه شر غرائزه، ويفتح فيها طاقات الخير .

---

(١) رواه البخارى .

(٢) رواه مسلم .

فما أجل معنى الصيام ! وما أقدس حقيقته! وما أكرمه من سر بين العبد ومولاه.! يقول الله تعالى فى حديث قدسى: « كل عمل ابن آدم له، إلا الصوم، فإنه لى وأنا أجزى به، يدع شهوته وطعامه من أجلى»[1] .

فهو تجربة حية تدل على صدق الإيمان وتحوله إلى قوة قادرة على التوجيه والعمل .. ولهذا فإن المسلم الذى يرعى حقيقة الصوم، ويحسن القيام بواجباته فيه ينال الأجر العظيم، وتشمله الرحمة الواسعة .

فقد جعل الله – سبحانه – الصيام بابًا من أبواب الطهر، وسبيلاً من سبل المغفرة التى تعفى آثار الخطايا، وفى ذلك يقول رسول الله ﷺ : «من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه»[2] .

والأمر كله يعود إلى النية الصادقة والعزم القوى، ومتى خلصت نية المسلم فإن الله يعينه على سلوك سبيل الخير، وييسر له مجانبة السيئات، ومحاربة الأهواء ويقيه نزغات الشيطان .

كما يقول الرسول صلوات الله عليه: «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن، وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب، وينادى مناد: يا باغى الخير أقبل، ويا باغى الشر أقصر، ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة»[3].

وهكذا نرى الصوم فى حقيقته رياضة للنفس، وارتفاعا بالإنسانية إلى أفق كريم، وجهادًا كبيرًا يطبع المسلم بطابع القوة، ويزيد من طاقته فى ميادين الكفاح .

ومن عجب ألا يفطن بعض المفتونين فى عصرنا إلى هذه الحقيقة الجليلة فيحاولون الغض من شأن الصوم، وإغراء المسلمين بالتفلت من قيوده بحجة الحفاظ على العمل، وزيادة الإنتاج !!

إن النفوس التافهة المشغوفة بالشهوات هى التى تحاول الإفلات من الصيام ولا تصبر على مشقاته. ونسى هؤلاء أن المسلمين الأولين الذين فهموا الإسلام حق

---

(١) رواه مسلم .
(٢) رواه مسلم .
(٣) رواه الترمذى .

الفهم، وعملوا به حق العمل، كانوا يرون فى الصيام عبادة إيجابية لا الفريضة فحسب، بل وصوم التطوع الذى كانوا يحرصون عليه مختارين.. فلا عجب أن ظهرت فيهم البطولات وحدثت منهم العجائب، فإن للصيام تربية تقوى الإرادة وتصهر العزيمة، وتدفع إلى التضحية والفداء .

أما حين نرى فى عصرنا جماهير من المسلمين تستثقل تلك الفريضة وتفزع من مشقتها، وفيهم الشاب القوى والصحيح القادر .. ويجدون من يعذرهم ويسول لهم، فإنه لأمر يبعث الأسى فى النفس، ويكشف عما أصاب المسلمين فى عصرنا من وهن واختلال .

فكيف يرجى من هؤلاء خير فى دينهم أو دنياهم ...!

بل إن هناك طوائف فى بعض المجتمعات الإسلامية تحرص على تضييع معانى الصيام وإحاطة لياليه بجو من الهزل والفجور، حتى تضيع معالم العبادة فيه، وتمحى معانيه من نفوس المسلمين، وهذا لهو حقير ينبغى أن يتنزه عنه المسلم، وأن ينأى عن مواطنه، وأن يكون مثله الأعلى فى رمضان ما كان عليه رسول الله صلوات الله عليه من هدى كريم .

لقد كان رسول الله ﷺ أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون فى رمضان. وكان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة فيدارسه القرآن فإذا لقيه جبريل عليه السلام كان أجود بالخير من الريح المرسلة[1]، وكان يقوم فى رمضان فيصلى ويتعبد. وكان يرغب الناس فى ذلك ويقول: «من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر ما تقدم من ذنبه»[2] .

هذا هو الصيام كما يفهم المسلم الحق .. سبيل من سبل التربية، وباب من أبواب الجهاد، ونظام حازم يطبع المسلم بطابع المبادرة والطاعة. ومهما قيل فى بيان معانيه وفهم أسراره، فلا نزال نتبين فيه جديدًا ونبصر حكمه؛ فهو عبادة فذة كما قال الرسول صلوات الله وسلامه عليه: «عليك بالصيام فإنه لا مثل له»[3] .

---

(١) رواه الشيخان .

(٢) رواه الخمسة .

(٣) رواه النسائى والحاكم وصححه .

## المبحث السابع

# الإيمان والشوق للكعبة المشرفة

يولى المسلم وجهه شطر المسجد الحرام كل يوم خمس مرات، وهو يسجد لربه، ويظل قلبه أبدا متعلقا بهذه القبلة المباركة مسلوب المشاعر نحوها، فهى رمز العبادة، وهى موطن النبوة، وهى أول مسجد فى الأرض جعله الله لعبادته وتوحيده، ومن هنا يصبح الحج إلى بيت الله الحرام أملا لكل مسلم، لا يمل من التطلع إليه ولا تخمد حماسته نحوه، لما فيه من تأكد الالتفاف حول الهدف واليقين بالغاية الواحدة التى تجمع المسلمين .

﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ﴾

[الحج: ٢٦-٢٨]

والمسلم يعلم أن المسجد الحرام بمكة هو بيت الله، الذى أمر إبراهيم ببنائه ليكون مثابة للناس ومقصدًا .

وقد صانه الله وحفظه؛ وطهره وكرمه، ودفع عنه الطغاة والملحدين، وساوى فيه بين العاكفين والبادين، وأفاض فيه الأمن والطمأنينة على الناس أجمعين. ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٩٦].

وقد كان العرب فى الجاهلية يعظمون البيت عن تقليد للآباء، فلما جاء الإسلام ربط هذا البيت بحقيقته التاريخية، وفطرته الدينية، وجعله للمسلمين خاصة؛ لأنه ميراث أبيهم إبراهيم الذى أمره ربه بإقامته؛ ليكون قبلة ومقصدًا للمسلمين.

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾ [ البقرة: ١٤٤].

لذلك جعل الله – سبحانه – من أركان الإسلام الحج إلى بيت الله الحرام، وجعل ذلك فريضة لازمة فى العمر مرة على القادرين .

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [ آل عمران: ٩٧].

واستطاعة الحج إنما تكون بالقدرة على مشقات الرحلة، وامتلاك النفقة الضرورية فى أيام الحج .. ولا يشترط فيه الثراء العريض، ولا الصحة الموفورة، فمن استطاع ذلك فقد وجب عليه الحج إلى بيت الله .

فما حقيقة الحج .. وماذا يتعلم المسلم من دروسه ويستفيد من تمارينه؟

إنه رحله روحية، وعبادة فريدة تترك أكرم الآثار فى نفس المسلم، وتطبعه بطابع التجرد لله، والتزام حكمه والخضوع لشرعه .

ولهذا كان الحج بهذا المعنى طهارة شاملة، تمسح الخطايا، وتكفر الذنوب، وتبيض ما اسود من صحائف الإنسان؛ يقول رسول الله ﷺ :«من حج فلم يرفث ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه»(١) .

إن المسلم يتحمل مشقات الحج ومتاعبه راضيًا، قرير العين، فهو بذلك يطيع ربه، ويبادر إلى أمره. وفى ذلك تدريب على تحمل الأعباء، ومواجهة الشدائد، ومدافعة الأخطار؛ ولذلك يتعلم المسلم من الحج معنى الجهاد .

وقد جعل الإسلام الحج جهادًا حقيقيًا للنساء والضعاف من الرجال، يعفيهم من جهاد العدو، إذ هو غاية وسعهم ومنتهى تحملهم .

يقول صلوات الله وسلامه عليه: «جهاد الكبير والصغير والضعيف والمرأة: الحج والعمرة»(٢) .

---

(١) رواه الخمسة إلا أبا داود .

(٢) رواه النسائى .

كما قيل له: يا رسول الله هل على النساء من جهاد؟ قال: « نعم، عليهن جهاد لا قتال فيه: الحج والعمرة»[1] .

وقالت له عائشة رضى الله عنها: يا رسول الله نرى الجهاد أفضل العمل، أفلا نجاهد؟ قال: «لا، لكن أفضل الجهاد حج مبرور»[2] .

فما أحوج المسلم إلى الحج وما فيه من تدريب على الجهاد، ولقد جمع الحج بين نفع الدنيا، وثواب الآخرة. فكما أنه يطهر المسلم من خطاياه، ويمسح عنه أوزاره، فإنه كذلك يفتح أمامه آفاقًا للكسب، ويتيح له التعاون، والتعارف مع إخوانه المسلمين من شتى أقطار الأرض .

ومن هنا يستطيع المسلمون أن يبتغوا منافع لهم وأن ينهضوا باقتصادهم واجتماعهم عن طريق الوحدة الروحية التى يحققها لقاؤهم مع إخوانهم فى موسم الحج. وليت الأمة الإسلامية فى عصرنا تنتفع بتلك النعمة فتكسب منها وحدة الرأى ووحدة السلوك.

وقد كان العرب فى الجاهلية يتبايعون ويتبادلون فى موسم الحج، فلما جاء الإسلام كرهوا الاشتغال بالدنيا أثناء تأدية العبادة.. فرفع الله عنهم الحرج بقوله: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [ البقرة: ١٩٨].

ومعنى هذا أن الحج عبادة تمحو الذنب، وتمحق الفقر.

كما يقول الرسول ﷺ : «تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفى الكير خبث الحديد والذهب والفضة، وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة»[3].

إنه مؤتمر كبير يأتى بغير تكلف يجمع ملايين المسلمين من كافة أنحاء الأرض، فيهيب بهم أن يوحدوا صفوفهم ويخلصوا غايتهم، وأن تجتمع كلمتهم على استرداد

(١) رواه البخارى .
(٢) رواه البخارى .
(٣) رواه النسائى والترمذى .

حقوقهم وحماية حرماتهم ونصرة عقليتهم والتعاون فى ميادين الحياة.. وكل هذا مما يشمله قوله تعالى: ﴿ لِّيَشْهَدُواْ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ ﴾ [ الحج: ٢٨].

والمسلم يعلم أن وراء أركان الحج جميعًا قصد العبادة ونية ذكر الله .

ففى الحج يتعلم الناس حقيقة المساواة، وينزلون جميعًا على حكم الله، فيتجردون من ثيابهم التى ألفوها والتى يظهر فيها التفاوت الاجتماعى، ويلبس كل منهم إزارًا ورداء فى خشوع وإخبات .. فلا مكان للمباهاة، وهم جميعًا فى حرم الله، قد لبوا دعوته، وأقبلوا على كعبته، وأتوه جميعًا خاشعين قائلين كما كان الرسول صلوات الله وسلامه عليه: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك»[١] .

والمسلم فى هذه التلبية وهذا النداء الكريم ليس وحده، بل إن كل ما حوله من خلق الله يتجاوب معه حتى الجماد والشجر.. فما أروع هذا الموقف ! وما أقدسه!.

يقول الرسول ﷺ : «ما من مسلم يلبى إلا لبى من عن يمينه، وعن شماله من حجر أو مدر، حتى تنقطع الأرض من ها هنا وها هنا»[٢] .

وحين يطوفون حول الكعبة فليس طوافهم مجرد دوران حول بناء .. بل هو مناجاة الله وصلاة.. وتطلع، وتضرع، واستغاثة والتجاء.. لصاحب الفضل، وواهب الإحسان.

ولهذا كان الطواف موضعًا من المواضع التى يستجب فيها الذكر والدعاء؛ وموطنًا من مواطن الرحمة والمغفرة، يقول رسول الله ﷺ : «الطواف حول البيت مثل الصلاة، إلا أنكم تتكلمون فيه؛ فمن تكلم فيه فلا يتكلمن إلا بخير»[٣] .

وكل مشاعر الحج ومناسكه لا يقصد بها إلا ذكر الله، والتطلع إلى فضله، واللجوء إلى رحابه، وليست طقوسًا لا معنى لها، أو حركات لا تثمر فى النفس شيئًا.

---

(١) رواه الخمسة .
(٢) رواه الترمذى .
(٣) رواه الترمذى والحاكم .

يقول رسول الله ﷺ : «إنما جعل الطواف بالبيت والسعى بين الصفا والمروة، ورمى الجمار لإقامة ذكر الله – تعالى»[1] . كما يقول: «خير الدعاء، دعاء يوم عرفة»[2].

هذا هو الحج، كما يفهمه المسلم الحق، باب من أبواب النفع المبارك فى الدنيا، وسبيل من سبل الآخرة .

ورحلة لله مصحوبة برعايته وفضله مشمولة بتوفيقه وإحسانه فالمعرض عن الحج معرض عن الله، غير راغب فى ذكره ولا مهتد بهداه .

وهو حينئذ بعيد عن دينه، منحرف عن صراطه، وصدق رسول الله ﷺ إذ قال: «من ملك زادًا وراحلة تبلغه إلى بيت الله، ولم يحج فلا عليه أن يموت يهوديًا، أو نصرانيًا»[3].

(١) رواه أبو داود وأحمد والترمذى .
(٢) رواه الترمذى وأحمد .
(٣) رواه الترمذى وأحمد .

# المبحث الثامن

# الإيمان وحق الله فى المال

لا ينسى المسلم حين يؤدى حق ربه أن الله سبحانه قد أمره بأداء حق أخيه الإنسان، فتلك أيضًا عبادة الله وابتغاء لرضاه. فلابد أن يقوم بناء المجتمع على التكافل والتعاون، حتى لا يكون المال دولة فى أيدى الأغنياء، بينما يحرم الفقراء من ضروريات الحياة. فالمال مال الله، والناس جميعًا شركاء فيه .. إن لم يكن على سواء فعلى الأقل بما يعين الفقير على أعباء الحياة، ويشد أزره فى مواجهة دنياه .

وليست الزكاة إلا مظهرًا لما يفيض به قلب المسلم من إحساس بالمسئولية الاجتماعية، وشعور قوى بالتضامن والارتباط فهى كما قال الرسول صلوات الله عليه: «صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم».

والمسلم يفهم لماذا يقرن الإسلام دائمًا بين حق الله وحق العباد، فيجمع بين الصلاة والزكاة .. ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [ البقرة: ١١٠]. ويجعل ذلك من سمات المؤمنين .. ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [الحج: ٤١].

إن الإنفاق نتيجة من نتائج الإيمان ﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ [ الحديد: ٧].

ولم يترك أمر الإنفاق موكولا إلى ضمائر الناس، بل حدده بالشريعة، فأوجب زكاة المال، بنسبة معلومة فى كل موارد الكسب، من الذهب والفضة، والتجارة والزروع، والثمار، والسوائم من الإبل، والبقر، والغنم، والكنوز التى توجد فى باطن الأرض، وأنصبة هذه الزكاة تتسم بالعدالة والوسط، ولا تجحف الفرد، ولا تصادر نشاطه الضرورى، ولا تستولى على قوته الذى يحتاج إليه، وفى الوقت نفسه، ترعى حق الفقير فلا تشترط قدرًا كبيرًا من الثراء .

كما فرض زكاة الفطر من صيام رمضان على كل مسلم يجد ما يزيد عن كفايته فى يومه وليلته، فيتعلم المسلم من دينه كيف يكون التضامن؟ وكيف يسع الناس بعضهم بعضا فى مجتمع الإسلام .

ومن هنا يدرك المسلم الأساس الذى تقوم عليه فريضة الزكاة، ويعرف ثمراته للفرد والمجتمع .

فإن الزكاة من جانب المزكى طهرة لماله، وسمو بنفسه، وعلاج له من أدواء الشح والبخل، حتى لا يكنز المال، ويحبسه عن نفع المجتمع.. كما يقول الله سبحانه: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [ التوبة: ١٠٢].

وهى كذلك سد للخلة[1]، وكفاية للحاجة، وإقامة للعدالة، وتقرير للتكافل بين الناس؛ لهذا يعلم المسلم أن الزكاة حق للفقير، لا فضل من الغنى .

إنها فريضة مادية ومع ذلك يربطها الإسلام بأصل الإيمان، ويقرر لها قداسة العبادة، وجلال الشعيرة ويجعله انعكاسا لما يعمر القلب من عقيدة ومبدأ.. فالقرآن الكريم يذكر الزكاة فى أصول الإسلام الأولى، التى لا يتخلى عنها، ولا يقبل جدلا حولها: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ [ البينة: ٥].

كما يجعل الكفر بحق الفقير، تكذيبًا بالدين، وإنكارًا للبعث: ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣ ﴾ [الماعون: ١-٣].

ويجعل الاستهانة بحق الفقير سببًا من أسباب الجحيم: ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ۝٤٢ قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ۝٤٣ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ۝٤٤ ﴾ [ المدثر: ٤٢-٤٤].

بل يجعل القرآن جحد الزكاة، ومنع حقوق الفقراء، وجها بارزًا للكفر يكفى للتعريف به، وينوب فى الدلالة عليه: ﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ [ فصلت: ٦-٧].

---

(١) الخلة: الحاجة والفقر .

ولا يذكر القرآن إقامة الصلاة، وهى حق الله سبحانه، إلا ويقرنها غالبًا بأداء الزكاة: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾ [ النور: ٥٦]. ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾ [ التوبة: ٧١].

وهكذا يحل الإسلام فريضة التكافل الاجتماعى محلها بين أركانه ويضمن لها الثبات والرسوخ، ليعلم المسلم ارتباط تلك الفريضة بحقيقة الإيمان ودلالتها الواضحة على صدق اليقين فيبادر إلى أدائها راضيا .

إنها تجربة صادقة للبذل، تؤدى إلى ألوان أخرى من التضامن والتعاون .

ولا ينتهى الأمر بالمسلم عند أداء زكاة ماله بحدها المفروض فإن أمامه باب التطوع، يرغبه فيه الإسلام، ويحضه على المضى فى سبيله.. فالزكاة حد أدنى للتكافل الاجتماعى يضعه الإسلام، يقول رسول الله صلوات الله وسلامه عليه: « إذا أديت زكاة مالك فقد قضيت ما عليك»[1] .

ولكن القرآن إلى جانب نصه على الزكاة المفروضة، يذكر حق الفقير فى مال الغنى على الإجمال، مما يبين أن المهم كفاية الحاجة وسد الخلة: ﴿ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴾ [ الذاريات: ١٩].

وهذا الحق غير الزكاة المفروضة وهو حق يعرفه المسلم بحسه المرهف، وقلبه النقى، وتجاوبه مع الأحداث التى تقع حوله، وإحساسه بأنه لبنة فى بناء كبير.

والمسلم يعلم أن الزكاة حل ناجح وكريم لمشكلة الحاجة والضعف والتخلف فى مواجهة الحياة، إنها مورد متجدد يشمل كل مصادر العمل والكسب، يتجه إلى مصب واحد: الفقر والعوز والحاجة، فلا يزال ذلك يعمل عمله فيمسح الآلام، ويقرب الفوارق، ولا يفسح المجال للثروة الفاحشة، أو الاستعلاء على البائسين، أو الازدراء بحقوق المساكين .

---

(١) رواه الترمذى وابن ماجة .

وقد شهد بذلك تاريخ المجتمع الإسلامى فى كل الأجيال التى أقامت تلك الفريضة إلى عهد قريب. فقد كان المجتمع الإسلامى بمنجى من البؤس والضعة، وكانت الحياة فيه كريمة على كل فرد، لا يحفل بصور الشقاء والحاجة التى تهوى بالإنسان إلى الحضيض، وتلبسه ثوب الذلة والهوان.

وكانت الزكاة تعمل عملها فى التقريب بين الطبقات، وكفاية المحتاجين. إنها حل طيع ميسور، يخفف الأحقاد، ويلطف من حدة الصراع، ويحقق التآزر بين القادرين والعاجزين، وعن طريقها نجح المجتمع الإسلامى فى تحقيق السلام بين الطبقات وربطها برباط التكافل، مما يحقق التوازن، ويشيع التكافل فى المجتمع.. ويعالج كثيرًا من المشاكل التى تهدد المجتمع بالاضطراب والاختلال.

إن المسلم لا يبخل عن حقوق العباد، ولا يعرض نفسه للهلكة فهو يعلم أن البخل لن يعود عليه بالخير فى دنياه أو آخرته.

ففى الدنيا تمحق ثروات الباخلين، ويزيلها التوفيق والبركة كما قال الرسول ﷺ: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا»[1].

إن الله يبارك فى أموال المنفقين، ويخلف على المتصدقين. ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ [ سبأ: ٣٩].

وفى الآخرة تصبح ثروات الممسكين وسيلة من وسائل العذاب الأليم.

كما قال رسول الله ﷺ: «من آتاه الله مالاً لا يؤدى زكاته، مثل له يوم القيامة شجاعًا (ثعبانًا) أقرع، له زبيبتان يطوقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلهزمتيه ( أى شدقيه) ثم يقول: أنا مالك، أنا كنزك[2]. ثم تلا : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [آل عمران: ١٨٠]».

---

(١) رواه البخارى وغيره .
(٢) رواه الخمسة إلا أبا داود .

فلن يكتسب من يجحد الزكاة إلا البوار والخسران، أما الإنفاق والتصديق فهو خير محض للمنفقين؛ فالمال نعمة من الله أنعم بها عليهم، ثم يستقرضهم منها بأجر مضاعف وثواب عظيم: ﴿ إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [ التغابن: ١٧ ].

والمنفقون فى رحمة الله ورعايته: ﴿ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [ الأعراف: ١٥٦ ]. والذى ينفق فى سبيل الله لا يضيع عمله هباء فإن الله يدخره له ويجزيه به .

﴿ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ [ البقرة: ٢٧٢ ].

﴿ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ﴾ [ المزمل: ٢٠ ].

ولقد فرض الإسلام على كل مسلم أن يشرب قلبه حب الخير، ونفع الناس بما يستطيع، من مال وجهد أو نية وشعور. فليس لأحد أن يعيش مع الناس يمنع عنهم خيره، ويبسط إليهم أذاه؛ فإن رسول الله ﷺ قال: «على كل مسلم صدقة»، فقالوا: يا نبى الله فمن لم يجد.

قال: «يعين ذا الحاجة الملهوف»، قالوا: فإن لم يجد؟ قال: «فليعمل بالمعروف وليمسك عن الشر فإنها له صدقة»[1] .

وهكذا يصبح المسلم ويمسى، وهو يمد الحياة بنفع، ويشيع فيها الخير بين الناس، فهو يعلم أن هذا مقياس الإسلام، ودليل اليقين، فليس الإيمان بالتمنى، بل هو ما وقر فى القلب وصدقه العمل.

---

(١) رواه الشيخان والنسائى .

# المبحث التاسع
# الإيمان والجانب الأخلاقى

**١-صدق المسلم :**

من ملامح المسلم ومعالمه البارزة التزام الصدق فى قوله وعمله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [ التوبة: ١١٩].

فهو خلق أصيل من أخلاقه يعبر عن حقيقته، ويسير إلى أهدافه. والصدق فى نظر المسلم ليس إلا الحق الذى هو أساس الإيمان وعماد الوجود، أما الكذب فهو الباطل، الذى لا يقوم له بناء ولا تثبت له قدم .

وما دام قد اختار طريق الحق، فآمن بالله وعرف سر الوجود، فلابد أن يتحرى الصدق فى قوله، وأن يتخذه منهاجًا فى حياته؛ لأنه يعلم أن الكذب يناقض الإيمان، وأنه خطر يتهدد العقيدة، ويفسد العمل.

من هنا فإن المسلم الحق لا يتصف بالكذب، ولا يرضى به طريقا، كما يقول الرسول ﷺ: « يطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب»[١]، كما أن التزام الكذب، والميل إلى الباطل، يخرج صاحبه من دائرة الإيمان إلى هاوية النفاق، وفى ذلك يقول الرسول ﷺ: «أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا ومن كان فيه خصلة منها كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب ..» [٢] .

ولهذا فإن المسلم يتخذ من الصدق طريقًا مأمونًا ينتهى به إلى رضوان الله – سبحانه – ويهديه إلى حسن العاقبة فى الدنيا والآخرة، فينمى مواهب الخير فى نفسه، ويطبعه بطابع الحق، فيألف مسالك الخير والاستقامة، وينبت فى قلبه بذور اليقين والمعرفة، ويسمو به إلى أرفع الدرجات .

---

(١) رواه أحمد .
(٢) رواه البخارى .

ويصور ذلك الطريق، ويعبر عن مناهجه قول الرسول ﷺ: «عليكم بالصدق فإن الصدق يهدى إلى البر، وإن البر يهدى إلى الجنة، وما زال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا..».

«وإياكم والكذب فإن الكذب يهدى إلى الفجور، وإن الفجور يهدى إلى النار، وما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا». وليس الصدق طريقا إلى رضوان الله – سبحانه – وعظيم مثوبته فحسب، بل هو طريق النجاح فى الحياة، وهو الصراط المستقيم الذى يصل بصاحبه إلى التوفيق فى سلوكه، والرشاد فى سعيه، وهو بذلك طريق النجاة فى الدنيا والآخرة.

وأما الكذب فليس وراءه إلا ضلال القصد، وسوء العاقبة، مهما بدا للنظر القاصر غير ذلك، وفى هذا يقول النبى ﷺ: «تحروا الصدق، وإن رأيتم أن الهلكة فيه، فإن فيه النجاة»[1].

وبذلك يصبح الصدق فى نظر المسلم سنة من سنن النجاح فى الدنيا، والفلاح يوم القيامة، وقانونا من قوانين الإيمان يعكس نظرة المسلم إلى الحياة، ويدل على طريقه الذى ارتضاه.

ومن هنا يبلغ المسلم الغاية فى طلب الصدق، فيحرص على أن يعتاد لسانه قول الحق، فى الصغير والكبير، وفى الجد واللعب حتى يصبح الصدق سمة من سماته، وصبغة من خلقه لا تزول، مهتديا فى ذلك بقول الرسول ﷺ: «لا يؤمن العبد الإيمان كله حتى يترك الكذب فى المزاح»[2].

وبقوله ﷺ: «من قال لصبى تعالى هاك ـ أى لأعطيك ـ ثم لم يعطه فهى كذبة»[3].

وليس وراء ذلك غاية فى تزكية النفس، وتهذيب الخلق، والسمو بالإنسانية إلى أعلى مراتبها فى رعاية الحق، وإيثار الصدق فى كل شأن وعمل.

---

(١) أخرجه ابن أبى الدنيا.
(٢) رواه أحمد.
(٣) رواه أحمد.

إن الصدق فى نظر المسلم، وفى مفهوم الإسلام، ليس وصفا لالتزام الحقيقة فى القول، والحرص على الصواب فى المنطق فحسب، ولكنه وصف لاتجاه المسلم فى حياته، وحقيقة تدل على معدنه، وتوضح طريقه .

فالصدق فى العمل يعنى إخلاص النية واجتناب الرياء الذى يحبط العمل، ويفسد الحياة، ويجعلها زورًا لا حقيقة وراءها.

وهكذا فإن المسلم يصدق مع ربه، كما يصدق مع نفسه ومع الناس، فيصبح ظاهره كباطنه فى الصفاء، والطهر، والاستقامة، ويجعل وسائله فى حياته شريفة كغاياته، فهو يعلم من كتاب ربه، أن الكذب سبيل الضلال بل هو طريق الكفر؛ لأنه مذهب لا يختلف، وطريق تدل بدايته على نهايته، فمحال أن يختاره مسلم يبغى لنفسه حسن العاقبة: ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴾ [ النحل: ١٠٥].

وأقبح الكذب وأشده عقابا ما انتهكت به الحرمات، وضاعت به الحقوق، كشهادة الزور، التى تقلب ميزان العدل، وتغير وجه الحق، فتشيع المظالم، ويظهر الفساد، ولذلك نهى الإسلام عنها أشد النهى، وشدد النكير على من يشهدونها. فجعلها من أكبر الكبائر عند الله، كما يقول الرسول ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ ثلاثا – قلنا: بلى يا رسول الله. قال: الإشراك بالله وعقوق الوالدين، وقتل النفس – وكان متكئا فجلس – وقال: ألا وقول الزور، وشهادة الزور. فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت»[1] .

ومن هنا فإن التزام المسلم بالحق، وحرصه على رعايته مهما كلفه ذلك من عناد يعود على المجتمع كله بالطمأنينة، ويسبغ عليه ظل الأمان، حتى ليصل المسلم إلى درجات عالية من المثالية والتضحية، ومجانبة النفع الذاتى، فى سبيل خير المجتمع، والحفاظ على حقوقه الإنسانية: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [ النساء: ١٣٥].

(١) رواه البخارى .

ومعنى ذلك أن الصدق فى ميزان المسلم الحق غاية فى ذاته .. دون النظر إلى نفع، أو حرص على مصلحة: إنه شهادة لله، واستقامة مع سنته فى الكون والحياة، وليس وراء ذلك مثالية ولا ارتقاء بالإنسانية .

**٢- أداء الأمانة:**

الأمانة خلق من أخلاق المسلم الأصلية التى تنبع من عقيدته، وتدل على صدق اتجاهه، وشرف غايته .

ولهذه كانت الأمانة من لوازم الإيمان، وكانت الخيانة من علامات الجحود والكفران، كما يقول الرسول ﷺ: « لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له»[١] .

والأمانة بمعناها الحقيقى فى نظر المسلم صفة نفسية تملى على صاحبها سلوكا لا يتبدل إزاء كل ما يعهد إليه القيام به، وكل ما يلتزم ويتحمل مسئوليته .

وهى بهذا تحيط بكل تبعات الحياة الصغيرة والكبيرة، وتتناول كل الأعباء التى يحملها الإنسان، وفى ذلك يقول الرسول ﷺ : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، والخادم راع فى مال سيده وهو مسئول عن رعيته»[٢] .

غير أن العبء يعظم، والمسئولية تتأكد، كلما اتسع النطاق، وثقلت الأمانة. فالولاية على الناس، ورعاية أمورهم، أمانة كبرى، لا يستشرق لها المسلم إلا حين يثق فى قدراته على حملها، وكفاءته أمام أعبائها، وصدق نيته فى إشاعة الخير بين الناس، وكبح نوازع الشر عنه .. وإلا عرض نفسه للحساب، وجلب عليها سوء العقاب .

عن أبى ذر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله ألا تستعملنى؟ ( أى تسند إلىَّ عملا أقوم به؟) قال: فضرب بيده منكبى ثم قال: « يا أبا ذر: إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزى وندامة، إلا من أخذها بحقها، وأدى الذى عليه فيها»[٣] .

---

(١) رواه أحمد .
(٢) رواه البخارى .
(٣) رواه مسلم .

والحق أن ضياع تلك الأمانة من علامات انتهاء الحياة فى الأرض، وأمارات اقتراب القيامة، وهو دليل على فساد الحياة، واختلال موازينها.

فقد جاء رجل يسأل رسول الله ﷺ: متى تقوم الساعة؟ فقال له: « إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة» فقال: وكيف إضاعتها؟ قال: «إذا وسدَّ الأمر لغير أهله فانتظر الساعة»[1].

ومن هنا فإن المسلم يحسن القيام بكل ما يعهد به إليه، ويعلم أنها أمانة يسأل عنها ويتوقف مصيره على أدائها. والمسلم الحق يعلم أن النعم والمواهب أمانة، وعطاء مشروط بأن يتجه به الإنسان إلى سبيله القويم.

ومن العجيب أن كثيرًا من الناس يهلكون أنفسهم، فيجحدون فضل الله، ويضعون نعمه فى غير مواضع الشكر.

وتلك خيانة تجلب على صاحبها الشقاء فى الدنيا والآخرة، والمسلم يعلم أنه مسئول عن تلك النعم التى ابتلاه الله بها، فيحرص على أن يروجها فى سبيل الخير، وأن يرعى فيها حدود الله، فيستديمها بالشكر وينجح فيما يعرض له من ابتلاء، مدركًا خطر المسئولية التى تتجلى فى قوله ﷺ: « لا تزولا قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن عمله ماذا عمل به»[2].

أما جانب المعاملة فإنه موطن عظيم من مواطن الأمانة التى يجب أن تتجلى فى المسلم حتى يتضح يقينه بما للناس من حقوق .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ ﴾ [ النساء: ٥٨].

فما يجوز أن يستبيح المسلم لنفسه من حقوق الناس شيئًا، وإن هان، فإن ذلك ليس من أخلاق المؤمنين الذين يعلمون أن كل المسلم على المسلم حرام.. دمه وماله وعرضه .

---

(١) رواه البخارى .
(٢) رواه الترمذى .

وقد بين الرسول ﷺ أن الله سبحانه قد يغفر حقوقه، ويفصح عن سيئات عباده، ولكنه لا يعفو عن حقوق العباد .

ففى البخارى أن رسول الله ﷺ قال: « إذا خلص المؤمنون من النار – أى اجتازوا الصراط – حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فيتقاضون مظالم كانت بينهم فى الدنيا».

ولهذا فإن ضمير المسلم يستيقظ، وإحساسه يرق، فيؤدى الأمانة للناس جميعا وصدق رسول الله ﷺ: « لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له»[1] .

وذلك هو الإسلام الحق الذى يشيع الأمن بين الناس، ويحفظ لكل فرد حقه، ويصون حرماته .

إن المسلم يعلم أن حياة الإنسان فى هذه الدنيا مجموعة من الأمانات صغيرة كانت أم كبيرة. وهو مطالب بأن لا يخون فيها ولا يفرط فى أدائها.. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [ الأنفال: ٢٧].

ولكن العجيب أن سلوك أكثر الناس فى هذه الدنيا يتسم بالخيانة والتفريط ..! وهذا ما سجله القرآن الكريم فى قوله: ﴿ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ﴾.
[الأحزاب: ٧٢]

نعم .. لقد كانت الحياة منذ قامت مسرحًا للجهالات وميدانا للتظالم، مما يجعل الخيانة سمة بارزة لكثير من المجتمعات والعصور، ولا عاصم من ذلك إلا صدق الإيمان، ويقظة الضمير، التى تبرئ صاحبها من الظلم، والجهل، وتَشُدُّ يَدَهُ بعرى الأمانة والإيمان .

---

(١) رواه أحمد .

### ٣- العفـــو:

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ [ فصلت: ٣٤].

صلة المسلم بالناس تشملها السماحة ويظللها الحلم؛ ويحيط بها العفو والتجاوز وضبط النفس. إن ذلك من علائم التقوى، وأمارات الإيمان، كما أنه من دلائل قوة النفس وسموها، واعتدادها بإيمانها، وارتفاعها عن سوءات الحقد، ومشاعر السوء. وقد كان ذلك المعنى من معانى الإيمان التى أبدلها الإسلام فى أفهام العرب عن القوة والبأس، فقد كانوا من قبل يظنون أن القوة فى الانتقام والغلبة.

ولذلك قال الرسول ﷺ لأصحابه: «ما تعدون الصرعة فيكم؟» ( أى القوة والشجاعة) قالوا: الذى لا تصرعه الرجال، قال: «لا، ولكن الذى يملك نفسه عند الغضب»(١) .

فذلك هو الذى نضج إيمانه وقهر هواه وسيطر على نوازعه وسلوكه. ولئن كانت المشاعر الغريزية للإنسان تدفعه إلى الانتقام والانتصار، وتغريه أن يقابل السوء بمثله، فهذا حق أباحه الإسلام للنفس البشرية مقيدًا بعدم التجاوز كما يقول الله تعالى: ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ [البقرة: ١٩٤]. وكما يقول فى أوصاف المؤمنين: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴾ [الشورى: ٣٩].

لكن الإسلام بعد تقرير هذا الحق، أهاب بالإنسان أن يسمو إلى منزلة أعظم من ذلك وأكرم، منزلة ينالها المسلم بإيمانه وتقواه، وله بها أعظم الأجر من الله.

وفى ذلك يقول الله تعالى: ﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [ الشورى: ٤٠].

وذلك يجعل المسلم يؤثر ثواب الله على شفاء الغيظ وإجابة نداء الانتقام ويفصح عن أخيه رجاءً لما عند الله من عظيم الأجر فقد تكفل بمرضاته وإثباته؛ جزاء

---

(١) رواه مسلم .

تجاوزه عن الإساءة وترفعه عن الانتقام، كما أشار إلى ذلك قوله تعالى: ﴿ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ وكما قال الرسول ﷺ: « إذا كان يوم القيامة ينادى مناد: ليقم من أجره على الله فليدخل الجنة، وهم العافون عن الناس»[1] .

إن المسلم يعلم أن الحلم والعفو منزلة من منازل الإيمان، وليس علامة ضعف ولا أمارة جبن. إنه أمارة اليقين بأن الله صاحب الحساب والجزاء، وبأن ثوابه الذى أعد للعافين عن الناس، خير من لذة الانتصار والانتقام. ولذلك يرقى المسلم إلى تلك الدرجة العليا وذلك الثواب العظيم يبين ذلك قول النبى ﷺ: « من كظم غيظا وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رءوس الخلائق، حتى يخيره فى أى الحور شاء»[2] . وهذه دلالة على استحقاقه الجنة، وفوزه برضوان الله .

إن الإسلام يجعل العفو والصفح سبيلا من سبل التهذيب الخلقى ينظف القلب من مشاعر الحقد، ويطهره من نزعات السوء، بذلك يرتفع يقين المسلم، ويثبت إيمانه ويبلغ كماله، فتعلو منزلته عند الله ويعظم ثوابه .

يقول الرسول ﷺ: «ألا أنبئكم بما يشرف الله به البنيان، ويرفع الدرجات؟» قالوا: نعم يا رسول الله. قال: «تحلم على من جهل عليك، وتعفو عمن ظلمك، وتعطى من حرمك، وتصل من قطعك»[3] .

وذلك سمو بالإنسانية إلى أرفع درجة يطبقها الإنسان، فيهذب نفسه ويطهرها من نوازع الشر وبواعث الانتقام .

والمسلم فى ذلك العفو والتسامح يصدر عن وعى بأمن المجتمع وسلامته، فهو يعلم أن صغار الشرر تتهيج كبارها، وأن التنازع يودى بقوة الجماعة. فالخصومة، والقطيعة بين الأفراد والجماعات، تهدم أمن المجتمع وتزلزل أركانه، وتجعله مسرحا للفتن والأحقاد: ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ [ الأنفال: ٤٦]. وهو يعلم

(١) رواه الطبرانى بإسناد حسن. وهو من حديث طويل بمعناه .
(٢) رواه أبو داود .
(٣) رواه الطبرانى .

أن رباط الأخوة من القوة والأصالة؛ بحيث لا تفصمه الضغائن، أو أزمات الحياة وصعاب المعاملة. فالأخوة بين المسلمين يجب أن تكون أقوى من المنازعات والأحقاد. فإن الصلة بينهم من صنع الله يقويها اجتماعهم على دينه، ونصرتهم لشريعته. ومن هنا يصبح العفو ضرورة يحتمها حفظ الكيان الاجتماعى ويدعو إلى ما يجب أن يشيع بين المسلمين من حب ورحمة حتى تنمو الصلات وتقوى الروابط: ﴿ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [ النور: ٢٢].

وإذا كان هذا شأن المسلم فى الصفح والغفران عن زلات أخيه، فإنه بالأحرى لا يتعدى عليه ولا ينتهك حرمته. فالعدوان جريمة ينبغى ألا يفكر فيها مسلم، وأمامه قول الرسول الكريم: « كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه»[١] .

فأينما نظر المسلم إلى أخيه فلن يجد منفذًا للشر ينفذ منه إليه، مادامت الأخوة بينهما قائمة، ومادام الحق والعدل يظلل المجتمع كله. فلا سباب ولا نزاع ولا قتال من المسلمين، وإلا فهو الفسق والكفر، كما يقول النبى ﷺ: « سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر»[٢]، وكما يقول: «ما من مسلمين إلا وبينهما ستر من الله عز وجل، فإذا قال أحدهما لصاحبه كلمة هجر، خرق ستر الله»[٣] . تلك هى الصلة التى تنبغى بين المسلمين. لقد جعلهم الله أخوة وذكرهم بنعمته التى تستوجب الشكر وتستأهل العرفان: ﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾ [ آل عمران: ١٠٣]. فلابد للمسلم من أن يقى الناس شره، وحذرهم رسولهم من الفتنة والفساد، وبصرهم بعواقب التنازع حين قال: «فلا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض»[٤]؛ فيسلمون من لسانه ويده، وأن يشمل إخوانه صفحه وتسامحه، فذلك أجدى عليه وعلى الإنسانية جميعًا.

---

(١) أخرجه الستة إلا النسائى وهذا لفظ مسلم .
(٢) رواه البخارى .
(٣) رواه البيقهى .
(٤) رواه البخارى .

**٤- الصـــــبر:**

قال الله تعالى: ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [ البقرة: ١٧٧].

الصبر من أخلاق المسلم ووسائله فى الحياة التى هداه إليها القرآن: ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [ البقرة: ٤٥].

وهو من دلائل صدق الإيمان، فإنه لا يصبر لحكم الله إلا مؤمن به، مقدر لحكمته، مبتغٍ لثوابه فى الدنيا والآخرة.

﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [ الشورى: ٤٣].

والمسلم يعلم أن الصبر ضرورة فى هذه الدنيا، فالدنيا ميدان فسيح تعاقبت عليه الأجيال، واختلفت عليه الأمم، فواجهتهم طبيعة الحياة، ومازال هذا الميدان يستقبل أجيال البشر بطبيعة لا تتغير وحقيقة لا تختلف، يشير إليها قول الله سبحانه: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [ البقرة: ١٥٠].

فالصبر يجعل المسلم يحسن التصرف فى كل موقف، ويواجه الحياة بمشاعر ثابتة، وقلب مطمئن. فإن ذلك هو ما يقتضيه الإيمان وما يضمره اليقين .

وهل هناك ما يحفز الهمم على الصبر للنجاح فى معركة الابتلاء أعظم من قوله سبحانه: ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

ولئن كان كل إنسان يحب أن تسير الأمور على هواه، فإن للقدر خطة محكمة ونهج مرسوم. وليس أمام الإنسان إلا أن يتقبل الأحداث ويواجه الواقع، بتسليم ورضا، فإن ذلك خير له فى الدنيا والآخرة، أما الجزع والسخط فإنه يحرمه راحة الدنيا وثواب الآخرة .

والمسلم يعلم أن قوة الله لا تقهر، وإرادته لا تغلب، ومشيئته لا ترد، ورحمته من وراء ذلك للصابرين، وهدايته للموقنين، وإن قلبه ليغمره الرضا، وتملؤه السكينة حين يتلو قوله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

فالرضا والاحتمال نعمة كبرى يهبها الله للصابرين، الذين يرضون بحكمه، ويستسلمون لإرادته، فيكتسبون طمأنينة النفس وثقة القلب وصلاح البال، وهذا خير عطاء وأفضل نعمة، كما يقول رسول الله ﷺ: «.. ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطى أحد عطاء خيرًا وأوسع من الصبر»[1] .

والمسلم يعلم أن الابتلاء مهما اشتد فهو خير له فى الدنيا والآخرة، بل هو دليل على أن الإيمان يعمر قلبه وأن القدر يرشحه بذلك للدرجات العلى .. ولهذا كان الابتلاء سنة لا تتبدل فى حياة المصطفين الأخيار .

فإن قلوبهم عامرة باليقين، مزودة بطاقة من التحمل والثبات .. فقد سئل رسول الله ﷺ: أى الناس أشد بلاء؟ قال: « الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل؛ يبتلى الناس على قدر دينهم، فمن ثخن دينه اشتد بلاؤه، ومن ضعف دينه ضعف بلاؤه، وإن الرجل ليصيبه البلاء حتى يمشى على الأرض وما عليه خطيئة»[2] .

ومن هنا فإن الإسلام لا يهن أمام البلاء، ولا ينكص على عقبيه إن مسته الضراء؛ لأنه يعلم أن للإيمان تبعات، وأن المكاره طبيعة الحياة التى يميز الله بها الخبيث من الطيب ويمحص بها الصدق من الادعاء: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [ آل عمران: ١٤٢].

---

(١) رواه البخارى .
(٢) رواه ابن حبان .

فإذا انتهت هذه الدنيا وانطوت صفحتها، فإن للصابرين من عظيم الأجر وكريم الجزاء، ما ينسيهم ما لقوا فى الحياة من جهد وعناء: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [ الزمر: ١٠].

وهذا الأجر الجزيل فى دار الخلود لا تقاس به نعمة أو سلامة فى الدنيا الفانية مهما طالت، التى يزول نعيمها وتنسى لذتها. ولذلك «يود أهل العافية يوم القيامة حين يعطى أهلا البلاء الثواب لو أن جلودهم كانت قرضت بالمقارض»[1] .

والمسلم يميز ببصيرته بين المواطن التى يحمد فيها الصبر، والتى يتخذها من الصبر سلاحًا ماضيًا فى جهاده وكفاحه فى سبيل الحق فهو لا يصبر على الذل ولا يرضى بالضيم ولا يستسلم للطغيان: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [ النساء: ٩٧].

أما صبر المسلم فإنه قوة دافعة تجعله أصلب عودا وأشد بأسا فلا يجزع ولا يفزع: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [ آل عمران: ٢٠٠].

---

(١) رواه الترمذى .

# المبحث العاشر

# الإيمان وتفكر المسلم فى ملكوت الله

إن العلم فى نظر المسلم هو قمة الهدى التى يبلغها الإنسان، وهل الإيمان إلا نوع من العلم بالله، وتصحيح النظرة إلى الكون والحياة، محوطا بالحقائق والدلائل؟ ولهذا يجعله القرآن مقابلا للكفر الذى هو جهل وضلال: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ الزمر: ٩].

إن المعركة مع الكفر هى معركة مع الجهل والخرافة، إذ يقوم الكفر على أوهام وأكاذيب لا سند لها ولا برهان: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [ الأحقاف: ٤].

ومن هنا كان شقاء الجاحدين حين اتبعوا أهواءهم وقدسوا أوهامهم ولم يبحثوا عن الحق ولم يتحروا الصواب: ﴿ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ﴾ [ الروم: ٢٩].

وذلك ما يجعل المسلم حريصًا على العلم معولاً عليه فى بلوغ الحقيقة واستقامة الطريق .

والمسلم يرى فى آيات الكتاب أنها إنما أنزلت للعالمين، الذين يخرجون من أسوار الجهالة ويفتحون عقولهم لضياء المعرفة: ﴿ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٣]. فأولئك الذين يستجلون آيات الله يفهمون دلائل وجوده وقدرته، ولهذا كان الإيمان الصحيح بحاجة إلى قاعدة من التسليم، وهداية من العقل تساند الشعور وتوجه العاطفة، وتمد القلب بألوان من الطمأنينة واليقين.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [ الأنعام: ٩٧-٩٨ ].

إن ذلك يلفت الأنظار إلى مشاهد الكون، ويجعلها سبيلا إلى معرفة الخالق، وفهم أسرار الحياة. فما كان الشرك بالله إلا عن جهالة بقدره وذهول عن عظمته المتفردة ومشيئته المطلقة: ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴾ [ الزمر: ٦٤]. ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ [ الزمر: ٦٧]. وما يكون التوحيد والإيمان الصادق إلا عن وقوف على حقائق الكون، وإدراك للقدرة التى تفردت بذلك الإبداع. وإلى هذا يشير القرآن بقوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾ [فاطر: ٢٧-٢٨].

ومن هنا فإن المسلم لابد أن يبرأ من الجهالة التى كانت وما تزال علة التكذيب والجحود ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ ﴾ [ يونس: ٣٩].

إن إيمانه يرتقى به إلى آفاق سامية من المعرفة والهداية. وهو يبدأ فى العلم بأولى المعارف وبديهات الحقائق، من الإيمان بالله ولقائه وما ينبغى له. ثم يطلق بصره فى الآفاق يتعلم كل خير و يتبصر فى كل ما يحيط به ويدرك من قضايا الوجود وحقائقه ما يشاء .

وهو يعلم أن دائرة العلم فى الإسلام أوسع من أن تحد وأشمل من أن تحصر بنوع أو اتجاه. فالمسلم يتعلم كل ما ينفعه وكل ما يطمح له ويستعد، ويعلم من كتاب ربه أن العلم الذى تميز آدم به على الملائكة ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [ البقرة: ٣١] ليس إدراك أسماء، بل هو خبرة بالمسميات ومعرفة بطبائعها وأحوالها، وفى هذا ما يشير إلى دور العلم فى حياة الإنسان وأثره فى تذليل الحياة له .

لكن المسلم يعلم أن العلم لا خير فيه ولا أثر له إن لم يهد إلى الحقيقة الأولى، وهى معرفة الله سبحانه وتعالى .. وإلا فما فائدة أن يعلم الإنسان من خصائص الكون وطبائع الأشياء ما يعلم، ثم يغفل عن الخالق الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى..!؟

إن العلم هنا لم يقم بدوره ولم يهد الإنسان إلى حقيقة وجوده ومهمته فى حياته.

ولهذا ينعى القرآن الكريم على حضارات البشر الجاحدة التى تركتهم قطيعا هملا لا تتعدى معارفهم المادة وظواهرها دون أن ينفذوا إلى الحقائق، أو يعقلوا المعانى .

﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ ﴾ [ الروم: ٨]. ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧ ﴾ [ الروم: ٦-٧].

وإنا لنرى الحضارات المادية فى عصرنا تنفذ إلى كثير من حقائق العلم المادى وتصل إلى آفاق عليا فى شتى ميادينه .. ولكن تصورها للحياة ومعرفتها بحقيقة الكون وغايته لا تعدو أن تكون معرفة ظاهرة، تشوبها الخرافات والأوهام أو الجحود والنكران، فما يتناسب تفوقها العلمى مع حظها من إدراك الحق وصلتها بالله خالق الكون والإنسان.

أما الإسلام فإنه يرتب كل الحقائق ويبنى صروح العلم على أساس اليقين بوجود الله وتوجيه الحياة إلى طاعته، فالعلم فى نظر المسلم وحدة متكاملة لا يتناقض بعضها البعض، ولا تنقسم إلى شطر نظرى وآخر عملى، بل تقوم على مبدأ واحد وإدراك متكامل لا تعدد فيه ولا انفصام .

إن الإسلام يجعل العلم بمعناه الواسع فريضة على كل مسلم .. وفى سبيل ذلك نوه القرآن الكريم بأداة العلم ووسيلته، وهى الكتابة: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾ [ العلق: ١-٥].

ومن هنا يدفع القرآن الإنسان إلى أفسح آفاق العلم والمعرفة.

وقدوة المسلم فى ذلك رسوله الكريم ﷺ، الذى وجهه القرآن أن يطلب المزيد من العلم وأن لا يقف عند حد منه مادام يجد إليه سبيلا: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٤].

وموسى الكليم الذى لم يستنكف أن يبغى المزيد من العلم وتعرف الحقائق، بعد أن أوتى الرسالة، فقطع المسافات فى البحر يطلب المعرفة ويبحث عن الحق.

﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ ﴾ [ الكهف: ٦٥-٦٦].

وهو توجيه راشد، بابتغاء العلم من أى سبيل والجهد فى طلبه، فإن «الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق بها»[١] .

ويكفى أن يكون طلب العلم طريقا إلى الجنة، ليعلم المسلم أن العلم النافع باب الإيمان: «من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة»[٢] .

«إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع»[٣] ، ولا ينتهى دور المسلم عند طلب المعرفة والاستزادة من العلم، بل إن ذلك يضع على كاهله عبئا هو أن يعلم الجاهل ويرشد الضال وينشر ضياء المعرفة فى كل مجال. فذلك أفضل المراتب التى يبلغها المسلم، كما يقول الرسول ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»[٤]. وقد أمر الرسول ﷺ أصحابه أن يعيشوا العلم ويبلغوه: «ليبلغ الشاهد الغائب»، ويقول: «بلغوا عنى ولو آية»[٥] . بل إن كتمان العلم جرم كبير يؤذى صاحبه ويشقيه: «من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة».

وذلك يجعل من المسلم الحق ضياءً لمجتمعه وأداة نافعة لدينه ودنياه .

---

(١) رواه الترمذى .
(٢) أخرجه مسلم وأبو داود والترمذى .
(٣) أخرجه البخارى وأبو داود والترمذى .
(٤) أخرجه البخارى .
(٥) أبو داود والترمذى .

# المبحث الحادى عشر
# الإيمان والأمن النفسى

كما لا يتحسر المؤمن على الماضى باكيًا حزينًا، ولا يلقى الحاضر جزعًا ساخطًا، لا يواجه المستقبل خائفًا وجلاً، ولا يعيش فى فزع منه، ورهبة من غموضه، وتوجس من جبروته، كأنه عدو شرير متربص، بل يعيش آمن النفس كأنه فى الجنة .. إن إيمانه كان مصدر أمنه، والأمن من ثمرات الطمأنينة والسكينة بل هو نوع منها، إنه طمانينة تتعلق بالمستقبل، بكل ما يتوقعه الإنسان ويخاف منه، أو يخاف عليه، ولا سعادة بدون هذا الأمن النفسى .. وقد قيل لحكيم: ما السرور؟ فقال: الأمن فإنى وجدت الخائف لا عيش له .

ولا عجب أن جعل الله الجنة دار أمن وسلام كاملين فأهلها فى الغرفات آمنون، لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، تتلقاهم الملائكة منذ اللحظة الأولى ﴿ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴾ [الحجر: ٤٦].

**الإيمان مصدر امان:**

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٢]

إن الناس يخافون من أشياء كثيرة، وأمور شتى، ولكن المؤمن سد أبواب الخوف كلها، فلم يعد يخاف إلا الله وحده، يخافه أن يكون فرط فى حقه، أو اعتدى على خلقه، أما الناس فلا يخافهم؛ لأنهم لا يملكون له ضرًا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا .

دعا أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام إلى توحيد الله، وتحطيم الأصنام، فخوفه قومه من آلهتهم التى دعا إلى نبذها، فقال إبراهيم متعجبا: ﴿ وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [الأنعام: ٨١]. وقد عقب الله على ذلك حاكما بين الفريقين فقال: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٢].

وفسر النبى ﷺ الظلم فى هذه الآية بالشرك ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: ١٣]. فبين لنا أن الإيمان والتوحيد هما أعظم أسباب الخوف والاضطراب والرعب. وصدق الله إذ قال: ﴿ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ﴾ [ آل عمران: ١٥١].

والملحدون الجاحدون أكثر الناس مخافة – وإن كتموها عن الناس – إنهم يخافون الزمن والكوارث، والفقر والمرض والناس، وأشد ما يخفيهم الموت، فهم ينظرون إليه نظرتهم إلى سبع فاتك، وعدو متربص، ونهاية مجهولة، ومصير مخوف .

**المؤمن آمن على رزقه :**

هو آمن على رزقه أن يفوت فإن الأرزاق فى ضمان الله الذى لا يخلف وعده، وقد خلق الأرض مهادًا وفراشًا وبساطًا، وبارك فيها وقدر فيها أقواتها، وجعل فيها معايش ووعد عباده بكفالة الأرزاق وعدًا كرره وأكده وأقسم عليه. وعد كريم لا يبخل، قدير لا يعجز، حكيم لا يعبث: ﴿ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴾ [الكهف: ٩٨]. ﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [ الروم: ٦]. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ [ الذاريات: ٥٨]. ﴿ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [ الذاريات: ٢٢- ٢٣]. ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ [ هود: ٦]. ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ ﴾ [ العنكبوت: ٦٠].

بهذه الضمانات يعيش المؤمن حياته آمنًا على رزقه، مطمئنًا إلى أن الله لن يهلكه جوعًا، وهو الذى يطعم الطير فى الوكنات، والسباع فى الفلوات، والأسماك فى البحار، والديدان فى الصخور .

ولقد كان المؤمن يذهب إلى ميدان الجهاد حاملاً رأسه على كفه، متمنيا الموت فى سبيل عقيدته، ومن خلفه ذرية ضعاف، وأفراخ زغب الحواصل لا ماء ولا شجر، ولكنه كان يوقن أن يتركهم فى رعاية أب كريم، هو أبر بهم وأحنى عليهم منه .

وتقول الزوجة عن زوجها وهو ذاهب فى سبيل الله: إننى عرفته أكالا وما عرفته رزاقا، ولئن ذهب الأكال فقد بقى الرزاق ! .

**المؤمن آمن على أجله :**

وهو آمن على أجله، فإن الله قدر ميقاتًا مسمى، أيامًا معدودة وأنفاسًا محدودة، لا تملك قوة أن تنقص من هذا الميقات أو تزيد فيه ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٤]. ﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ﴾ [المنافقون: ١١]. ﴿ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [ نوح: ٤]. ﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ﴾ [ فاطر: ١١].

أيقن المؤمن أن الله قد فرغ من الآجال والأعمار، وكتب على كل نفس متى تموت وأين تموت ؟

ومن كانت منيته بأرض فليس يموت فى أرض سواها

وبهذا ألقى عن كاهله هم التفكير فى الموت والخوف على الحياة. وهذا الأمن على الرزق والأجل منح المؤمن السكينة والطمأنينة، كما منحه القوة فى مواجهة الحياة وما فيها من طغيان وجبروت .

هدد الحجاج سعيد بن جبير بالقتل فقال له: ولو علمت أن الموت والحياة فى يدك ما عبدت إلها غيرك!.

والمؤمن لا يخاف الموت: ويعيش فى خوف من الموت، وجزع من مرارة كأسه، إنه زائر لابد من لقائه، وقادم لا ريب فيه، والخوف لا يرده، والجزع لا يثنيه، ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ﴾ [ الجمعة: ٨]. ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ [ النساء: ٧٨]. ﴿ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ﴾ [ آل عمران: ١٥٤].

ويهون الموتَ على المؤمن أنه سبيل الناس قبله من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين فقد اقتفى أثرهم، وسار فى دربهم .. إن الموت خطب قد عظم حتى هان، وخشن حتى لان، إنه بلية عمت، والبلايا إذا عمت طابت، ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر: ٣٠].

ومتاع الدنيا أهون عند المؤمن من أن يأسى على فراقه بالموت، كيف والموت قنطرته إلى المتاع الباقى، والنعيم السرمدى؟ ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [آل عمران: ١٨٥]. ﴿ قُلْ مَتَـٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴾ [ النساء: ٧٧].

فالموت ليس عدمًا محضًا، ولا فناءً صرفًا، إنه انتقال من حياة إلى حياة، ومن طور إلى طور، وفى الأثر " إنكم خلقتم للأبد، وإنما تنقلون من دار إلى دار".

وما الموت إلا رحلة غير أنها  من المنزل الفانى إلى المنزل الباقى

الموت انطلاق من قفص الجسد وغلافه - فى الحياة البرزخية – ثم عودة إليه فى نشأة أخرى يوم البعث والنشور .

إن الله – وهو الجواد المطلق – لا يسلب نعمة أنعم بها إلا وهو يعطى نعمة أكبر منها، فلا يسلب هذه الحياة الضعيفة القيمة التى لا تستحق أن تسمى الحياة الباقية إلا ويعطى حياة أوسع وأبقى وأجمل وأفضل.

وقال يحيى بن معاذ" لا يكره لقاء الموت إلا مريب، فهو الذى يقرب الحبيب من الحبيب" .

ولم تكن هذه نظرة الخاصة أو المتفلسفة أو المتصوفة فقط للموت، ولكنها كانت نظرة جمهور المؤمنين.

قيل لأعرابى اشتد مرضه: إنك ستموت، فقال: وإلى أين يذهب بى بعد الموت؟ قالوا: إلى الله، فقال: ويحكم، وكيف أخاف الذهاب إلى من لا أرى الخير إلا عنده ؟

وصدق الله تعالى حين قال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [ فصلت: ٣٠-٣٢].

## المبحث الثانى عشر

## الإيمان والأمل لدى المسلم

من مصادر الأمن والسكينة لدى المؤمن: ما يغمر جوانحه من أمل ذلك الشعاع الذى يلوح للإنسان فى دياجير الحياة فيضىء له الظلمات، وينير له المعالم ويهديه السبيل، ذلك هو الأمل الذى به تنمو شجرة الحياة، ويرتفع صرح العمران، ويذوق المرء طعم السعادة، ويحس ببهجة الحياة .

الأمل قوة دافعة تشرح الصدر للعمل، وتخلق دواعى الكفاح من أجل الواجب، وتبعث النشاط فى الروح والبدن، وتدفع الكسول إلى الجد، والمجد إلى المداومة على جده، والزيادة فيه تدفع المخفق إلى تكرار المحاولة حتى ينجح، وتحفز الناجح إلى مضاعفة الجهد ليزداد نجاحه. إن الذى يدفع الزارع إلى الكدح والعرق أمله فى الحصاد، والذى يغرى التاجر بالأسفار والمخاطر، أمله فى الربح، والذى يبعث الطالب إلى الجد والمثابرة أمله فى النجاح، والذى يحفز الجندى إلى الاستبسال أمله فى النصر، والذى يهون على الشعب المستعبد تكاليف الجهاد أمله فى التحرر، والذى يحبب إلى المريض الدواء المر أمله فى العافية، والذى يدعو المؤمن أن يخالف هواه ويطيع ربه أمله فى رضوانه وجنته .

والأمل إذن هو أكسير الحياة، ودافع نشاطها، ومخفف ويلاتها، وباعث البهجة والسرور فيها. ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل! والأمل – قبل ذلك كله – شىء حلو المذاق، جميل المحيا فى ذاته، تحقق أو لم يتحقق. وعندما يذهب الأمل يحل اليأس، وهو بداية التعثر والفشل فإذا يئس التلميذ من النجاح .. نفر من الكتاب والقلم، وضاق بالمدرسة والبيت، ولم يعد ينفعه درس خاص يتلقاه، أو نصح يسدى إليه، أو تهيئة المكان والجو المناسب لاستذكاره، أو... أو ... إلا أن يعود الأمل إليه. وإذا يئس المريض من الشفاء كره الدواء والطبيب، والعيادة والصيدلية، وضاق بالحياة والأحياء، ولم يعد يجديه علاج، إلا أن يعود الأمل إليه. وهكذا إذا تغلب

اليأس على إنسان أى إنسان اسودت الدنيا فى وجهه وأظلمت فى عينيه، وأغلقت أمامه الأبواب، وتقطعت دونه الأسباب، وضاقت عليه الأرض بما رحبت.

وأصبح لا يدرى إن كان داريا أقدامه خير له أم وراءه

ذلك هو اليأس: سم بطىء لروح الإنسان، وإعصار مدمر لنشاط الإنسان، وتلك حال اليائسين أبد الدهر، ولا إنتاج للحياة، ولا إحساس بمعنى الحياة.

**تلازم اليأس والكفر:**

وليس بعجيب أن نجد الكافرين أيأس الناس. كما نجد اليائسين أكفر الناس، فهناك ارتباط بين اليأس والكفر، كلاهما سبب للآخر، وثمرة له، اليأس يلد الكفر، والكفر يلد اليأس ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [يوسف: ٨٧]، ﴿ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ [الحجر: ٥٦].

وأظهر ما يتجلى هذا اليأس فى الشدة ونزول الشر، وقد كرر القرآن ذمه لهذا النوع من الناس فقال سبحانه: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَـٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴾ [هود: ٩]. ثم استثنى من ذلك بعد: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ﴾ [هود: ١١]. وقال: ﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴾ [الإسراء: ٨٣]، ﴿ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴾ [فصلت: ٤٩].

وليس اليأس من لوازم الكفر فحسب، بل من لوازم الشك أيضا. فكل من فقد اليقين الجازم بالله ولقائه، وحكمته وعدله، فقد حرم الأمل والنظرة المتفائلة للناس والكون والحياة، وعاش ينظر إلى الدنيا بمنظار أسود قاتم، ويرى الأرض غابة والناس وحوشا والعيش عبئا لا يطاق .. على نحو ما قال أبو العلاء: هذا جناه أبى علىّ وما جنيت على أحد. وقال:

لا تبك ميتا ولا تفرح بمولود فالميت للدود والمولود للدود !

**الإيمان يلد الأمل:**

فالمؤمن أوسع الناس أملا، وأكثرهم تفاؤلاً واستبشارًا، وأبعدهم عن التشاؤم والتبرم والضجر، إذ الإيمان معناه الاعتقاد بقوة عليا تدبر هذا الكون لا يخفى عليها

شيء، ولا تعجز عن شيء، والاعتقاد بقوة غير مصورة، ورحمة غير متناهية، وكرم غير محدود، الاعتقاد بالله قدير رحيم، يجيب المضطر إذا دعاه، ويكشف السوء، يمنح الجزيل، ويغفر الذنوب، ويقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات، إله هو أرحم بعباده من الوالدة بولدها، وأبر بخلقه من أنفسهم. إله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل.

إله يفرح بتوبة عبده أشد من فرحة الضال إذا وجد، والغائب إذا وفد، والظمآن إذا ورد .

إله يجزى الحسنة بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف أو يزيد، ويجزى السيئة بمثلها أو يعفو .

إله يدعو المعرض عنه من قريب، ويتلقى المقبل عليه من بعيد، ويقول: « أنا عند حسن ظن عبدى بى، وأنا معه إذا ذكرنى، إن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى، وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه، وإن تقرب إلى شبرًا تقربت إليه ذراعًا، وإن تقرب إلى ذراعًا تقربت إليه باعًا، وإن أتانى يمشى أتيته هرولة»[1] .

إله يداول الأيام بين الناس، فيبدل من بعد الخوف أمنًا، ومن بعد الضعف قوة، ويجعل من كل ضيق فرجًا، ومن كل هم مخرجًا، ومن كل عسر يسرًا.

المؤمن الذى يعتصم بهذا الإله البر الرحيم، العزيز الكريم، الغفور الودود ذى العرش المجيد، الفعال لما يريد، يعيش على أمل لا حد له، ورجاء لا تنفصم عراه، إنه دائما متفائل، ينظر إلى الحياة بوجه ضاحك، ويستقبل أحداثها بثغر باسم، لا بوجه عبوس قمطرير.

فهو إذا حارب كان واثقا بالنصر؛ لأنه مع الله، فالله معه، ﴿ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [ الصافات: ١٧٢-١٧٣].

وإذا مرض لم ينقطع أمله فى العاقبة ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ ﴾ [ الشعراء: ٧٨-٨٠].

---

(١) حديث قدسى رواه البخارى وغيره .

وإذا اقترف ذنبًا لم ييأس من المغفرة، ومهما يكن ذنبه عظيمًا فإن عفو الله أعظم ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [ الزمر: ٥٣].

وهو إذا أعسر لم يزل يؤمل فى اليسر ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨ ﴾ [ الشرح: ٥-٨].

ولن يغلب عسر يسرين أبدًا. قال ابن مسعود ﷺ: لو دخل العسر جحرًا لتبعه اليسر.

وهو إذا انتابته كارثة من كوارث الزمن كان على رجاء من الله أن يأجره فى مصيبته ويخلفه خيرًا منها ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝١٥٦ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ۝١٥٧ ﴾ [البقرة: ١٥٦-١٥٧].

وهو إذا عادى أو كره، كان قريبًا إلى الصلة والسلام، راجيا فى الصفاء والوئام، مؤمنا بأن الله يحول القلوب ﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [ الممتحنة: ٧].

وهو إذا رأى الباطل يقوم فى غفلة الحق أيقن أن الباطل إلى زوال، وأن الحق على ظهور وانتصار ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ [الأنبياء: ١٨]. ﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الرعد: ١٨].

وهو إذا أكردته الشيخوخة، واشتعل رأسه شيبًا، لم ينفك يرجو حياة أخرى فيها شباب بلا هرم، وحياة بلا موت، وسعادة بلا شقاء ﴿ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ۝٦١ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۝٦٢ ﴾ [مريم: ٦١-٦٢].

انظر إلى أنبياء الله وما تأملوا من الله عز وجل، وكيف عاشوا على هذا، واستجاب الله لهم، وحقق لهم الأمل والسكينة فانظر إلى خليل الله إبراهيم وهو شيخ كبير ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [الصافات: ١٠٠]. فاستجاب الله له وبعث إليه الملائكة، وهو في صورة ضيوف من البشر فقالوا له: ﴿ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ۝٥٣ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ۝٥٤ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ۝٥٥ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ۝٥٦ ﴾ [الحجر: ٥٢-٥٦].

وقد أثنى على ربه فقال: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ [ إبراهيم: ٣٩].

ويعقوب بعد أن طالت غيبة ولده يوسف عنده، وبعدت مسافة الزمن بينهما، وكان جديرًا أن يفقد الأمل في لقائه، ثم فجع بحجز شقيقه من بعده في حادثة صواع الملك، لكنه مع هذا لم يتسرب على فؤاده اليأس، بل قال: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [ يوسف: ٨٣].

وحين أبدى أسفه على ابنه يوسف قال له أبناؤه: ﴿ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ۝٨٥ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨٦ ﴾ [ يوسف: ٨٥-٨٦]. ثم ألقى إلى أبنائه بحقيقة ما في نفسه من أمل حلو تعززه الثقة بالله أن يجمع شمله بأبنائه فقالوا: ﴿ يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [ يوسف: ٨٧].

﴿ كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦ ﴾ [مريم: ١-٦]. فاستجاب له الله سبحانه: ﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ [ مريم: ٧].

﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [ الأنبياء: ٨٣-٨٤].

ويونس قد ابتلعه الحوت ﴿ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [ الأنبياء: ٨٧-٨٨].

وموسى حين يسرى بقومه لينجو بهم من فرعون وجنوده، فيعلمون بمسراه ويحشدون الحشود ليدركوه ﴿ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [ الشعراء: ٦٠-٦١]. وأى إدراك أكثر من هذا؟ البحر من أمامهم والعدو من ورائهم !! بيد أن موسى لم يفزع ولم ييأس، بل قال: ﴿ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ [الشعراء: ٦٢]. ولم يضع أمله سدى .. ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [ الشعراء: ٦٣-٦٦].

ومحمد ﷺ يلجأ إلى غار ثور فى هجرته مع صاحبه الصديق، ويقتفى المشركون آثار قدميه، ويقول قائدهم: لم يعد محمد هذا الموضع.. فإما صعد إلى السماء من هنا، وإما هبط إلى الأرض من هنا .. ويشتد خوف الصديق على صاحب الدعوة وخاتم النبيين ويبكى ويقول: لو نظر أحدهم تحت قدميه لرأنا، فيقول له النبى: ما ظنك باثنين الله ثالثهما، وكانت العاقبة ما ذكره القرآن: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [ التوبة: ٤٠].

اشتد أذى المشركين بأصحابه، فأمرهم بالهجرة إلى الحبشة، وقال لهم فى ثقة ويقين: " تفرقوا فى الأرض فإن الله سيجمعكم".

وجاءه أحد الصحابة "خباب بن الأرت" وكانت مولاته تكوى ظهره بالحديد المحمى فضاق بهذا العذاب المتكرر ذرعًا، وقال للرسول ﷺ فى ألم: ألا تدعو لنا؟ كأنه يستبطئ سير الزمن ويستحث خطاه ويريد حسم الموقف بين الإيمان والشرك بدعوة محمدية تهتز لها قوائم العرش، فينزل الله بأسه بالقوم المجرمين كما أنزله بعاد وثمود والذين من بعدهم.

وغضب النبى ﷺ لهذه العجلة من صاحبه: وألقى عليه درسا فى الصبر على بأساء اليوم، والأمل فى نصر الغد، فقال: « إن الرجل قبلكم كان يمشط بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب، وينشر بالمنشار فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه. والذى نفسى بيده ليظهرن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضر موت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه .. ولكنكم تستعجلون!!» [1] .

وفى الهجرة من مكة، والنبى خارج من بلده خروج المطارد المضطهد الذى يغير الطريق، ويأوى إلى الغار، ويسير بالليل، ويختفى بالنهار.. وفى الطريق يلحقه الفارس المغامر سراقة بن مالك وفى رأسه أحلام سعيدة بمائة ناقة من حمر النعم – جائزة قريش لمن يأتى برأس محمد حيا أو ميتا – ولكن قوائم جواده تسوخ فى الأرض ويدركه الوهن، وينظر إليه الرسول ﷺ ويكشف له عن الغيب المستور لديه فيقول له: «يا سراقة كيف بك إذا ألبسك الله سوارى كسرى؟» فيعجب الرجل ويبهت ويقول: كسرى بن هرمز؟ فيقول: «نعم».

ويذهب الرسول ﷺ إلى المدينة، ويبدأ فى كفاح دامٍ مريرٍ مع طواغيت الشرك، وأعوان الضلال، وتسير الحرب – كما هى سنة الله – سجالاً، حتى تأتى غزوة الأحزاب فيتألب الشرك الوثنى بكل عناصره، والغدر اليهودى بكل تاريخه، ويشتد الأمر على النبى ﷺ وأصحابه، قريش وغطفان ومن يحطب فى حبلها من خارج المدينة، واليهود والمنافقون من الداخل، موقف عصيب صوره القرآن بقوله: ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ

(١) رواه البخارى .

وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ ﴾ [الأحزاب: ١٠-١١]. فى هذه الساعات الرهيبة التى يذوى فيها عود الأمل، ويخبو شعاع الرجاء، ولا يفكر المرء إلا فى الخلاص والنجاة.. فى هذه اللحظات والنبى ﷺ يسهم مع أصحابه فى حفر الخندق حول المدينة يصدون بحفره الغزاة، ويعوقون الطامعين العتاة – يحدث النبى ﷺ أصحابه عن الغد المأمول، والمستقبل المرجو حين يفتح الله عليهم بلاد كسرى بفارس، وبلاد قيصر بالشام، وبلاد اليمن بالجزيرة العربية، حديث الواثق المطمئن الذى أثار أرباب النفاق فقالوا فى ضيق وحنق: إن محمدًا يعدنا كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا لا يأمن أن يذهب إلى الخلاء وحده! أو كما قال القرآن: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [ الأحزاب: ١٢ ].

ماذا تسمى هذا الشعاع الذى يبزغ فى دياجير الأحداث من القلوب الكبيرة، فينير الطريق ويبدد الظلام؟ إنه الأمل، وإن شئت فهو الإيمان بنصر الله ﴿ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [الروم: ٥-٦].

## وختامـا

اللهم اجعل عملنا هـذا خـالصًا لوجهك الكريم، وأثقل بـه موازيننـا، وارفـع اللهم به درجاتنا، وبيض اللهم به وجوهنا يوم تبيض وجوه وتسود وجوه.

اللهم رحمتك نرجو فلا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، ولا أقل من هـذا يـا أرحـم الراحمين، اللهم ثبتنا بالعلم النافع، وثبتنا بالقرآن وثبت اللهم الحق بنا، واجعلنا هداة مهتـدين، واجعـل هـذا العمـل حجـة لنـا لا علينـا، واجعلـه سـبيلا إلى مرضـاتك ورضوانك وعفوك ورضاك.

اللهم اجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته، واجعلنـا لآياتـه مـن الحافظين، ولأحكامه من العاملين، وللذيذ خطابه من المستمعين، اللهم اجعله لنا فى الدنيا ضياءً، وفى القبر مؤنسًا، ويوم القيامة سترًا وحجابًـا وعتقًـا مـن النـار، اللهـم ألبسنا به الحلل، وأسكنا به الظلل، وأخرجنا به اللهم من الظلمات إلى النور.

اللهم اختم لنا بخير، وارزقنا اللهم عيشة هنية، وميتة سوية، ومرد غـير مخـزى ولا فاضح.

اللهم يا مصرف القلوب ثبت قلوبنا على دينك.

ربنا آتنا فى الدنيا حسنة، وفى الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

نسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يتوفنا مسلمين، وأن يلحقنـا بالـشهداء والصالحين، وأن يجعلنا من عباده المتقين الفائزين، ويجعل ما كتبنـاه خالـصًا لوجهـه الكريم، بمنه وكرمه، وأن ينفعنا به ووالدينا، وغفر الله لنا ولوالدينا ولسائر المسلمين أجمعين ولمن قرأ هذا الكتاب أمين يا رب العالمين.

تـم الكـلام وربنـا المحمـود ... ولـه المكـارم والعـلا والجـود
وعـلى الـنبى محمـد صلواتـه ... مانـاخ قمـرى وأورق عـود

والحمد لله رب العالمين حمدًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب بنا ويرضى، وكما ينبغى لكرم وجهه وعز جلاله، ملء أرضه، وملء ما بينهما وملء ما شاء من شىء بعد، حمدًا لا ينقطع ولا يبيد ولا يفنى، عدد ما حمده الحامدون، وعدد ما غفل عن ذكره الغافلون.

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد خاتم أنبيائه ورسله، وخيرته من بريته، وأمينه على وحيه، وسفيره بينه وبين عباده، فاتح أبواب الهدى، ومخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد الذى بعثه للإيمان مناديًا، وإلى الصراط هاديًا، وإلى جنات النعيم داعيًا، وبكل المعروف آمرًا وعن كل منكر ناهيًا فأحيا به القلوب بعد مماتها، وأنارها بعد ظلمتها، وألف بينها بعد شتاتها، فدعا الله عز وجل على بصيرة بالحكمة والموعظة الحسنة، وجاهد فى الله تعالى حق جهاده، حتى عبد الله وحده لا شريك له، وسارت دعوته سيرة الشمس فى الأقطار، وبلغ دينه الذى ارتضاه لعباده ما بلغ الليل والنهار، وصلى الله عز وجل وملائكته وجميع خلقه عليه كما عرف بالله تعالى ودعا إليه، وسلم تسليما.

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات

# قائمة المصادر والمراجع


**أولاً: المصادر والأمهات الأساسية**

١- القرآن الكريم.

٢- كتب الحديث الشريف «كتب الصحاح جميعها - كتب السنن جميعها» وشروح البخارى ومسلم.

٣- كتب التفسير القديمة والحديثة، ومنها: تفسير القرطبى - تفسير البيضاوى - تفسير ابن كثير - تفسير الألوسى - فى ظلال القرآن - تفسير المنار.

٤- القواميس اللغوية ومنها: لسان العرب - القاموس المحيط - مختار الصحاح - المعجم الوجيز.

**ثانيًا: المراجع الفرعية من القديم والحديث:**

١- ابن تيمية: رسالة العبودية، القاهرة، مطبعة النهضة، ١٣٨٠هـ.

٢- ابن تيمية: السياسة الشرعية فى إصلاح الراعى والرعية، طبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة، ١٣٨٩هـ.

٣- ابن قيم الجوزية: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، القاهرة، مكتبة السنة المحمدية، د. ت.

٤- أبو الأعلى المورودى: مبادئ الإسلام، مؤسسة الرسالة، ١٣٩٧هـ.

٥- أبو حامد الغزالى: إحياء علوم الدين، القاهرة، مطبعة الحلبى، د. ت.

٦- أبو الحسن الندوى: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟ ط: دار الكتاب العربى، بيروت، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٧- أحمد السايح: حاجة الإنسانية إلى ظهور الإسلام، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ١٤١١هـ.

٨- أحمد السايح: العقيدة فى الإسلام، مجلة جوهر الإسلام، العدد الثانى من السنة الثانية، ١٣٩٦هـ، تونس.

٩- أحمد السايح: الفضيلة والفضائل فى الإسلام، ط: مجمع البحوث الإسلامية سنة ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

١٠- أحمد السايح: هذا هو الإسلام، الدوحة، دار الثقافة.

١١- أحمد غلوش: الدعوة الإسلامية، القاهرة، مطبعة الأزهر، ١٤٠٧هـ.

١٢- أحمد محمد جمال: الدين فطرة وميثاق، كتاب ندوة لمحاضرات موسم حج سنة ١٣٨٩هـ، ط: رابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة.

١٣- آمنة محمد نصير: مباحث فى علوم العقيدة، مكتبات الكليات الأزهرية، ١٤٠٤هـ.

١٤- أنور الجندى: منهج الإسلام فى بناء العقيدة والشخصية، ط: دار الاعتصام بالقاهرة.
١٥- السيد رزق الطويل: العقيدة فى الإسلام منهج حياة، القاهرة، دار الفكر العربى.
١٦- السيد سابق: العقائد الإسلامية، القاهرة، الفتح للإعلام العربى، ١٩٩٢م.
١٧- حسن أيوب: تبسيط العقائد الإسلامية، القاهرة، دار التراث العربى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
١٨- حسنين محمد مخلوف: الرفق بالحيوان، ط: مطبعة المدنى بالقاهرة، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٥م.
١٩- سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب: تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد ط: إدارة البحوث العلمية بالرياض، د. ت.
٢٠- سيد قطب: خصائص التصور الإسلامى، ط: دار الشروق، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
٢١- سيد قطب: المستقبل لهذا الدين، ط٦، الاتحاد الإسلامى العالمى للمنظمات الطلابية، مطبعة الفيصل.
٢٢- سيد قطب: التصور الإسلامى، ط: درا الشروق، د. ت.
٢٣- سيد قطب: فى ظلال القرآن، ج ٣.
٢٤- شوكت محمد عليان: الثقافة الإسلامية وتحديات العصر، ط: دار الرشد بالرياض، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
٢٥- عباس محمود العقاد: حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، جـ٥، ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات العقاد، ١٩٧٥م.
٢٦- عباس محمود العقاد: العقائد والمذاهب، مجلد ١١، ط: درا الكتاب اللبنانى.
٢٧- عباس محمود العقاد: الفلسفة القرآنية، جـ٧، ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات العقاد، ٣٦ - ١٩٧٥م.
٢٨- عبد الحليم محمود: الإسلام وتنظيم المجتمع، ط: دار الكتاب العربى بمصر، د. ت.
٢٩- عبد الرحمن بن حسن الشيخ: الرسائل المفيدة، تصحيح عبد الرحمن الرويشد، دار العلوم بمصر، ١٣٩٨هـ.
٣٠- عبد العظيم فودة: الحكم بما أنزل الله، ط: دار الصحوة بالقاهرة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٣١- عبد الكريم زيدان: أصول الدعوة، دار السنة بالقاهرة، ١٤٠٥هـ.
٣٢- عبد الكريم عثمان: معالم الثقافة الإسلامية، ط٣، مؤسسة الأنوار بالرياض ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
٣٣- عبد الله عزام: العقيدة وأثرها فى بناء الجيل، عمان، مكتبة الأقصى، ١٩٨٤م.

٣٤- عبد الله ناصح علوان: هذه الدعوة ما طبيعتها، ط٢، دار السلام للطباعة بالقاهرة، ١٩٨٦م.
٣٥- محمد أمين المصرى: إملاءات فى العقيدة، دمشق، د. ت.
٣٦- محمد حسين الذهبى: الدين والتدين، دراسة بمجلة البحوث الإسلامية، ج١٠، ط: دار الإفتاء والبحوث بالرياض، ١٣٩٥هـ.
٣٧- محمد رأفت سعيد: التوازن فى التصور الإسلامى، الرياض، كلية الشريعة، ١٤٠٥هـ.
٣٨- محمد شتا أبو سعد: قل هو الله أحد، الرياض، سلسلة مستقبل التشريع الإسلامى، ١٤١٢هـ.
٣٩- محمد صالح عثمان: وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية، ط١، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠١هـ.
٤٠- محمد عبد الله دراز: الدين، القاهرة، دار النهضة، د. ت.
٤١- محمد عبد الرحمن بيصار: العقيدة والأخلاق وأثرهما فى حياة الفرد والمجتمع، ط٤، القاهرة، الأنجلو المصرية، ١٤٠٠هـ.
٤٢- محمد عثمان نجاتى: القرآن وعلم النفس، ط: دار الشروق بالقاهرة، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
٤٣- محمد الغزالى: عقيدة المسلم، القاهرة، دار الدعوة، ١٩٩٠م.
٤٤- محمد قطب: لا إله إلا الله عقيدة وشريعة، القاهرة، دار الشروق، ١٩٩٣م.
٤٥- محمد المبارك: العقيدة فى القرآن الكريم، ط١٠، بيروت، دار الفكر، د. ت.
٤٦- محمد نبيل غنايم، عمر سليمان الأشقر وآخرون: دراسات فى الثقافة الإسلامية، ط٢، مكتبة الفلاح بالكويت، ١٤٠١هـ - ١٩٨٨م.
٤٧- محمد يوسف موسى: الإسلام والحياة، ط: مكتبة وهبة بالقاهرة، ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م.
٤٨- محمود شلتوت: الإسلام عقيدة وشريعة، القاهرة، دار نهضة مصر، د. ت.
٤٩- محمود شلتوت: من توجيهات الإسلام، ط: مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، ١٣٨٩هـ - ١٩٥٩م.
٥٠- يوسف عبد الهادى الشال: الإسلام وبناء المجتمع الفاضل، ط: الأزهر، ١٣٩٢هـ - ١٩٧١م.
٥١- يوسف القرضاوى: الإيمان والحياة، القاهرة، مكتبة وهبة، د. ت.
٥٢- يوسف القرضاوى: الخصائص العامة للإسلام، القاهرة، دار وهبة، ١٤٠٥هـ.
٥٣- يوسف القرضاوى: العبادة فى الإسلام، ط: المكتب الثقافى بالقاهرة.

# السيرة الذاتية

## لفضيلة الدكتور/ أحمد عبده عوض

**المؤهـــل:**

- حصل على الماجستير والدكتوراه فى الدراسات اللغوية والإسلامية من عام ١٩٨٥ إلى عام ١٩٩٢، من كلية التربية قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية بجامعة طنطا، وعمل معيدًا، ومدرسًا مساعدًا، ثم مدرسًا، ثم أستاذًا بالجامعة ذاتها.
- أشرف على عشرات الرسائل فى الماجستير والدكتوراه داخل مصر وخارجها.
- عمل أستاذًا بجامعة أم القرى بمكة المكرمة فى الفترة من ١٩٩٥م إلى ٢٠٠٠م، وأثناء ذلك كانت له برامج دينية فى إذاعة القرآن الكريم بمكة المكرمة، ومشاركات فى الصحف السعودية، ومحاضرات فى نادى مكة الثقافى الأدبى .

**التخصص:**

- أستاذ العلوم اللغوية والإسلامية .
- داعية وكاتب إسلامى – عضو اتحاد الكتاب المصرى – عضو جمعية حماة العربية – محاضر بمعهد الإذاعة والتليفزيون .
- متحدث فى البرامج الدينية فى إذاعة القرآن الكريم، وفى قنوات التليفزيون المصرى والعربى الأرضية والفضائية .

**الأنشطـــة:**

- يشارك فى المؤتمرات اللغوية والإسلامية والتربوية داخل مصر وخارجها.
- يشارك بدور بارز فى الدعوة الإسلامية فى الكتابة، فى المجلات والصحف، وفى اللقاءات اليومية والأسبوعية الثابتة فى المساجد .
- يشارك فى دورات تدريب الأئمة والخطباء، وفى دورات إعداد القيادات.

- المشاركة مع الهيئات الثقافية والدينية فى الموضوعات والقضايا التى تعالج مشكلات الشباب، وفى المسابقات الثقافية والدينية، وفى إلقاء خطبة الجمعة على مدى ثلاثين عامًا متواصلة فى الموضوعات تتصل بقضايا التثبيت والإيمان ومواجهة مشكلات الحياة .

**اهتمامات :**

١ - الكتابة الإسلامية والتأليف .

٢ - العناية بدراسة القضايا الإسلامية .

٣- العناية بتأصيل الفكر الإسلامى .

٤ - الدفاع عن اللغة العربية، وبيان أهميتها للدين الإسلامى .

٥ - رصد الأخطاء اللغوية، وتشخيصها، والتصدى لعلاجها .

٦ - العناية بقضايا التربية الإسلامية القرآنية .

٧- بيان وسطية الإسلام وسماحته، ويسره، واعتداله، مناسبته لظروف الناس وأحوالهم، وتحبيب الناس فى الإسلام .

٨- تذكير الناس بورع السلف، وكيفية محاسبة النفس، وتصفية أعمال القلوب، وكيفية التعرف إلى الله عز وجل .

**اللهم اجعل هذا خالصًا لوجهك الكريم، وتقبله منا يا رب العالمين**

# المؤلفات المنشورة

١ – فنون اللغة ( رؤية فنية، ملامح قرآنية) – مركز الكتاب للنشر، بالقاهرة .
٢ – التقوى فى القرآن الكريم ( دراسة لغوية تفسيرية إحصائية)، دار الصحابة بطنطا .
٣ – العدل فى القرآن الكريم ( بين العلم والكون والإيمان)، المكتبة القيمة بالقاهرة .
٤ – الإشارات العلمية فى القرآن الكريم ( بين العلم والكون الإيمان)، المكتبة القيمة بالقاهرة.
٥ – فضل التحدث باللغة العربية، والالتزام بها، مركز الكتاب للنشر، القاهرة.
٦ – الموت حقيقة منسية، مركز الكتاب للنشر، القاهرة.
٧ – مداخل اللغة العربية – دار الندى للنشر .
٨ – معالم شهر الصيام – مشترك – مركز الكتاب للنشر .
٩ – قضايا البيئة من منظور إسلامى – مشترك – دار الندى للنشر .
١٠ – تحقيق مخطوطة ( الفرائد والقلائد) للإمام الثعالبى – مشترك .
١١ – تحقيق مخطوطة ( غور الأمور) للحكيم الترمذى – مشترك .
١٢ – تحقيق مخطوطة ( الصراط المستقيم) للفيروز أبادى – مشترك .
١٣ – الزواج بين الدين والطب – مشترك .
١٤ – المخدرات بين الدين والطب – مشترك .
١٥ – نورانيات سورة يوسف عليه السلام .
١٦ – نورانيات سورة التوبة .
١٧ – تعليم اللغة العربية بين الفروع والفنون .
١٨ – صفات أهل القرآن الكريم .
١٩ – دراسات فى علوم القرآن الكريم .
٢٠ – تحقيق مخطوطة ( بحر الكلام فى علم التوحيد ) .
٢١ – تحقيق مخطوطة ( تاريخ المساجد الثلاثة ) .
٢٢ – تحقيق مخطوطة ( الدرة الفاخرة ) .
٢٣ – تحقيق مخطوطة ( لطائف أهل الإلهام ) .
٢٤ – تحقيق مخطوطة ( مسائل القرآن للرازى ) .
٢٥ – أدب الطفل العربى رؤية إسلامية .
٢٦ – الإعداد لمعجم عن الإمام النورسى .
٢٧ – الأخطاء الشرعية فى الأمثال العامية .

٢٨- الخط فى التراث العربى الإسلامى .
٢٩- الإسلام والبعث الحضارى.
٣٠- العقيدة والسلوك والانفصام بينهما .
٣١- التسامح فى الإسلام ( صور ومقابلات ) .
٣٢- الوسطية والاعتدال فى المنهج الإسلامى .
٣٣- طاعة الله ورسوله الكريم وأولى الأمر .
٣٤- أصول المنهج العلمى عند العرب والمسلمين .
٣٥- قراءة تأملية فى فكر الإمام الغزالى .
٣٦- دور المضمون الإعلامى فى النهضة الثقافية للأمة الإسلامية.
٣٧- اللغة العربية جامعة للفكر العربى والإسلامى .
٣٨- قضايا إيمانية حول أسماء الله الحسنى .
٣٩- أسماء القرآن الكريم .
٤٠- التربية الإيمانية فى القرآن الكريم .
٤١- سبيل الوصول إلى بلاغة الرسول ﷺ ( ثلاثة أجزاء ) .
٤٢- الخطرات منجيات ومهلكات .
٤٣- خواطر قرآنية إعجازية .
٤٤- تجليات الإيمان فى حياة المسلم .
٤٥ – سمات المنهج العلمى والإعلامى فى الإسلام .
٤٦- القراءة العربية مدخل قرآنى .
٤٧- الكتابة العربية مدخل قرآنى .
٤٨- تدريس التربية الإسلامية .
٤٩- الرسول ﷺ فى القرآن الكريم .
٥٠- آداب المعاملات فى الإسلام .
٥١- الأخطاء اللغوية، وخطورتها فى التحدث والكتابة .
٥٢- موجبات الرحمة – مشترك .
٥٣- عزائم المغفرة – مشترك .
٥٤- أنوار المنان فى سيدة آى القرآن .
٥٥- حوار الحضارات والأديان فى الميزان .
٥٦- الحوار فى الإسلام ودوره فى الدعوة والتربية والثقافة .

# سلسلة لقاء الإيمان

**اقرأ فى هذه السلسلة :**

- الأدعية الجامعة
- أسرار وأنوار
- فى صحبة الأحاديث القدسية
- فى رحاب الرحمن ( المسافرون إلى الله)
- التجارة الرابحة ( المجاهدة والتجارة مع الله )
- من الهداية إلى الثبات
- وتزودوا ( الاستقامة والإنابة )
- الأدوية النبوية الجامعة
- الأدوية الإسلامية الجامعة
- خير الزاد فى صلاح العباد
- الإسلام والبعث الحضارى
- العقيدة والسلوك من الإيمان إلى التطبيق والانفصام بينهما
- فاسألوا أهل الذكر ( فتاوى مبسطة )
- المحمديات ( فى ظلال أخلاقه ﷺ )
- نصرة رسول الله ﷺ
- مع الله ( رحلة اليقين )
- ففروا إلى الله ( الموقظات )
- الذين يبلغون رسالات الله ( فى معية الأنبياء )

- سبحانك ( ويأبى الله )
- وكيف تكفرون .....؟ ( معية الإيمان والعلم والمحبة )
- هذا ذِكر ( سورٌ وإعجاز )
- آداب ومعاملات
- ليـــس منـــا
- واتقوا يومًا ترجعون فيه إلى الله ( رحلة الحياة )
- لعلك ترضى ( ولسوف يرضى )

## البرامج المرئية والمسموعة فى أجهزة الإعلام

١- برنامج ( لقاء الإيمان) فى القناة السادسة على مدى أعوام على الهواء مباشرة .

٢- برنامج ( أسرار وأنوار) قناة المحور الفضائية ٢٠٠٤ م ولا يزال يعاد حتى الآن.

٣- برنامج ( فاذكرونى أذكركم ) القناتان الأولى والثانية ٢٠٠٣-٢٠٠٤م .

٤- برنامج ( فى رحاب القرآن ) قناة السفر العربى الفضائية ٢٠٠٥ م .

٥- برنامج ( فى نور الأحاديث القدسية ) الفضائية المصرية ٢٠٠٥ م .

٦- قناة التنوير: جنود الله ٢٠٠٥ م .

٧- برنامج ( مفاهيم إيمانية) الفضائية السودانية ٢٠٠٥م .

٨- برنامج ( من آيات الرحمن ) القناة الثقافية ٢٠٠٤ م .

٩- برنامج ( بلاغة الرسول ﷺ) إذاعة القرآن الكريم المصرية على مدى سنوات عديدة .

١٠- برنامج ( حديث من القرآن الكريم) إذاعة القرآن الكريم السعودية .

١١- برنامج ( عظماء الإسلام) القناة الثالثة من ٢٠٠٠ إلى ٢٠٠٤م وبرنامج (حديث الجمعة ) .

١٢- برنامج ( الفتاوى ) فى قنوات: اقرأ، المحور، دريم، الثقافية .

١٣- برنامج ( فى نور القرآن الكريم) القناة الثانية .

١٤- برنامج ( المجلة الإسلامية) القناة الأولى .

١٥- برنامج ( مع الله) و( فضفضة إيمانية) و (صباح الإيمان) فى قناة الناس .

١٦- تسجيلات صوتية ومرئية فى شركة صوت القاهرة .

١٧ – عدة إصدارات صوتية تتجاوز الخمسين، ولله الحمد .

- سلسلة المحمديات شركة النور الإسلامية
- سلسلة ففروا إلى الله شركة النور الإسلامية
- سلسلة موقظـــات شركة ذى النورين
- سلسلة داعى الله شركة عمران للتسجيلات الإسلامية

١٨ – أكثر من ستين كتابًا شرعيًا مطبوعًا منشورًا داخل مصر وخارجها .

١٩ – أمسيات دينيـة وخطبـة الجمعـة فى إذاعـة القـرآن الكـريم، وبرنـامج ( تقـديم التلاوة) فى إذاعة القاهرة ( البرنامج العام ) .

فضلاً عن جهد متواضع فى نشر الدعوة الإسلامية على مدى ثلاثة عقود، ولله الحمد، وأحتسب الأجر من الله تعالى، وأرجو كرم ردكم علىَّ.

**نفع الله بكم، وشرح الله صدركم، وأدام عليكم نعمته وحفظه، وجعلكم من أسباب تبليغ الرسالة ونشر الإسلام ﴿ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ ﴾.**

**آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين**


**أحمد عبده عوض**

**الداعية والمفكر الإسلامى**

**ت. م: ٠١٠٣٩٢٠٤٥٤ – ٠١٠٢٣٥٠٤٠٤**

**٠١٠٢٤٢٨٣١٣ – ٠١٦٦٨٧١٦٥٦**

**جمهورية مصر العربية**

# هذا الكتاب

عقيدة المسلم هى الأساس فى سلوكه، وحياتــه، وبقــدر مــا تــستقر العقيــدة الصحيحة فى قلب المسلم يترتب على ذلك خوفــه مــن الله، وهدايتــه، وصــلاحه، واستعداده لليوم الآخر.

وإن استقرار العقيدة فى الأفئدة يتوقف عليه تنفيذ جميع التشريعات، ومن هنا تأخر نزول التشريع إلى المدينة حتى تستقر العقيدة فى نفــوس الــصحب الكــرام الذين جعلهم الله ستارا لدينه، ونصر هذا الدين على أيديهم.

وكذلك فإن العقيدة تمثل الجذور لشجرة هذا الدين، وما لم تكن الجذور ضاربة فى أعماق الأرض فإنها لن تحمل فروع هذه الشجرة الضخمة الباســقة، فالعمــل الصالح لابد له من إيمان متمكن فى جوانب النفس وأغوارها وأعماق الفؤاد.

وكذلك فالعقيدة تمثل الأساس للبناء، والعمارة الضخمة لابد لها مــن أســاس مكين وقاعدة صلبة؛ حتى يستقر فوقها البناء.

فى ضوء هذه المعانى يأتى كتابنا (العقيدة والسلوك) محدداً لمفهــوم العقيــدة والإيمان، ومبررا أثر الإيمان فى حياة المسلم وسلوكه، ومحللا أثر العقيــدة فــى حياة المجتمع وأنظمته وشئونه، ثم يخلص إلى ظــاهرة الانفــصام بــين العقيــدة والسلوك، وفى إطار ذلك يعرض لعددٍ من القضايا المهمة.. منها مفهوم العقيــدة.. حاجة الإنسان إلى العقيدة الصحيحة، مزايا العقيدة الإسلامية وخصائصها.... إلخ.

ولعل هذا الكتاب يكون ذا نفع فى المكتبة العربية الإسلامية حيث يتناول أهــم الموضوعات فى حياتنا وهو (العقيدة وسلوك المسلم).

**والله تعالى نسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم وأن ينفع به، ويثقل به، ويرفع به درجاتنا فى أعلى عليين، إنه سميع عليم.**

**وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين**